

الحجاز

هذا الحجاز تأملوا صفحاته   سفر الخلود ومعهد الآثار

نايف ملكاً
غير متوّج!

هذا العدد

الدولة المستقيلة

كل التنبؤات تخيب في ضبط ما يمكن أن يحصل في المملكة، خصوصاً حين توضع الوقائع في سياق قوانين التاريخ والطبيعة والمنطق، فالذين يمسكون بزمام الأمر والقرار في العائلة المالكة لا يكترثون، بل بالأحرى لا يدركون ماتعنيه تلك القوانين وما تفرضه من واجبات، فهم اعتادوا أن يسيروا بطريقة محدّدة على طريقة (كلمة الرجال واحدة)..

كل من اعتقد إلى حد التمنّي بأن الجيل الثالث في العائلة المالكة سيتولى عمّا قريب إدارة الدولة، وسيصعد أحد أفراد هذا الجيل الى موقع ولاية العهد، وسيتنحى المعتّقون في وزاراتهم (الخارجية، الداخلية ، الدفاع)، لم يجدوا ما أملوا، لأن ذلك لم يحصل..

لم يحصل، ليس لغياب الأمراء الطامحين لملء تلك المواقع، ولكن لأن الإرادة تعمل بطريقة مختلفة. فثمة إتفاق على تقاسم السلطة بين فئة محدودة، وأن طريقة القسمة تفرض نوع الإنتقال للسلطة ووتيرتها، وآلياتها، وتدار أحياناً بطريقة لعبة الشطرنج بين متنافسين ماكرين.

لئن فهمنا هذه الآلية والطريقة في توزيع السلطة وليس تداولها، أدركنا حينئذ ماتعنيه الدولة المستقيلة. لأن تلك الطريقة لا تجعل الدولة خاضعة لقوانين التحوّل والتطوّر، وإنما هو قانون واحد: توازن القوى وتوزيعها.

بإمكان المرء أن يفهم عملية إدارة الدولة السعودية دون حاجة إلى تكهنّات، فالعائلة المالكة تأبى إلا أن تبقي باب المفاجئات مغلقاً، سوى في حالات استثنائية نادرة، كغياب بندر بن سلطان عن مراسيم تشييع جنازة والده، وإقالة الأمير عبد الرحمن بن عبد العزيز من منصبه كنائب لوزير الدفاع وتعيين خالد بن سلطان بدلاً منه دون إشارة الى الأسباب الدافعة وراء الإقالة أو الاستقالة (بناء على طلبه) كما هي العادة بالنسبة للأمراء المقالين أو المستقيلين.

التغييرات التي طالت تركة ولي العهد السابق، الأمير سلطان، وعلى وجه التحديد تركة المناصب وليس التركة المالية (التي بلغت ٢٧٠ مليار دولار أميركي بحسب شبكة سي إن إن الأميركية). كان متوقّعاً أن توزّع مناصب الأمير سلطان بين الأمراء الكبار الذين يقفون في صف المنتظرين، فولاية العهد تنتقل إلى الأمير نايف، ووزارة الدفاع تذهب للأمير سلمان، وهناك مؤسسة الطيران المدني ومؤسسات أخرى أقل أهمية (مؤسسة فيصل الخيرية مثلاً)..وهذا لاجديد فيه، بل هو المتوقّع.

الحال نفسه سيتكرر مع الأمير نايف، في حال رحيله، رغم أنه أكثر أعضاء العائلة المالكة إمساكاً بالمناصب، وقد زاد إلى مناصبه المتعددة مناصب جديدة من بينها نائب رئيس مجلس الأمن الوطني، ما يشير إلى أن بندر بن سلطان سيكون هامشياً.

دلالات ما سبق، أن الدولة بكامل حمولتها قائمة على أساس تجاذب بين أشخاص أقوياء في العائلة المالكة، وإن خصائص وطباع هؤلاء الأشخاص تنعكس تلقائياً على الدولة.

رحيل الأقوياء يحرّر الدولة من جمودها واستقالتها، ولكن ليس ذلك على سبيل الجزم، فقد يرحل قوي وتتوزع مناصبه بين رجال يحملون سماته. فماذا سيغيّر الأمير سلمان في وزارة الدفاع، سوى أنه سيحثّ الخطى نحو بناء شبكة نفوذ داخل الدولة والمجتمع مستفيداً من إمكانيات الوزارة الجشعة. من المصادفات المفجعة أن سلمان سيكون رجل المفاوضات في صفقة الـ ٦٠ مليار دولار مع الولايات المتحدة!

يدهشنا أولئك الأجانب والسفراء الذين يراهنون على الأمير سلمان في إحداث تغييرات في الدولة السعودية، والقول بأنه أكثر حداثة من إخوانه، فيما لا دلائل يمكن الوثوق بها على أن الرجل يمتلك خصائص تجعله متميّزاً عن غيره، فضلاً عن وصفه بأنه أكثر حداثة، وفي ذلك مجازفة كبيرة، فلم نقرأ أو نسمع ما يفيد بخلاف ما عليه إخوته المعارضين للإصلاح المفضي الى انتقال السلطة الى الشعب.

إعادة الهيكلة التي تحدّث عنها سايمون هندرسون في محاضرته في معهد واشنطن في ٧ تشرين الثاني (نوفمبر) الجاري، لن تتجاوز حد إعادة التموقع بين عدد من الأفراد، ولن يقوم الأمير سلمان بثورة في وزارة الدفاع لوقف هدير الأموال، أو تنظيم هيكلي لمراقبة مصروفات الوزارة. وكون الأمر الملكي القاضي بتعيين الأمير سلمان وزيراً للدفاع تجاوز نائب وزير الدفاع الأمير عبد الرحمن الذي أقيل من منصبه لا يمكن إدراجه في سياق (إعادة الهيكلة). ببساطة، لأن الإتفاق بين الملك والجناح السديري يفضي إلى جعل التوزيع بهذه الطريقة، وهو ما أغضب الأمير عبد الرحمن الذي فضّل الإستقالة على أن يقبل بقرار تعيين شخص من خارج الوزارة وزيراً عليها، بل وأن يخضع لسلطة إبن إخيه الذي أصبح نائباً، في إطار التعهد الذي قطعه الأمير سلمان لأخيه الأمير سلطان..

مع وصول نايف الى ولاية العهد وسلمان إلى وزارة الدفاع يعني أن زمن استقالة الدولة السعودية سيكون طويلاً نسبياً، فالمرض يحدق بالثلاثة الكبار: الملك (الظهر والقلب) ونايف (سرطان الدم)، وسلمان (جلطة دماغية أدّت الى صعوبة الحركة).. في الواقع، إن المرض صار رفيقاً دائماً للعائلة المالكة، وهو أحد الأسباب الرئيسية لاستقالة الدولة السعودية.

ما يساهم أيضاً في تخليد أمد الإستقالة هو ترحيب الإدارة الأميركية بقرارات تعيين الأميرين نايف وسلمان، وكأنها تأنس باستقالة الدولة السعودية لضمان استتباب المصالح الحيوية للولايات المتحدة، ولخشيتها من تداعيات أية تغييرات في عملية توزيع السلطة.

الثابت الآن وحتى إشعار آخر، أن السعودية دولة مستقيلة، فالملك وكبار الأمراء مشغولون بترسيخ مواقعهم في الدائرة العليا للسلطة، وهذا ما يجعل أي حديث عن تغييرات يقوم بها الملك أو أي من الأمراء الكبار مثل نايف وسلمان هو مجرد آمال لا تصمد أمام حقيقة القصور الذاتي لدولة أبت إلا أن تكون مستقيلة، فيما يظل التاريخ يهتف بأولئك المستقيلين بضرورة التعجيل اللحاق به.

نايف ولياً لعهد..

الأمراء المهمّشون وفشل الرهان على ملك ضعيف

محمد قستي

بسهولة بالغة أصبح الأمير نايف ملكاً.

فقد توفي الأمير سلطان في ٢٠١١/١٠/٢٢، وتوقّع الجميع أن انتقال السلطة (الخلافة) سيكون أكثر تنظيماً، وعلى أسس أكثر تقعيداً ووفق إجماع عائلي لم يحظ به من قبل.

كل هذا بُني على أساس أن هناك هيئة للبيعة تم تأسيسها عام ٢٠٠٦ ستتولى اختيار ولي العهد الجديد، وقد جرى اختبارها فعلاً ولأول مرة، مع موت سلطان ولي العهد، وتعيين بديل له.

في النظام الأساسي للحكم، والذي صدر في عهد الملك فهد عام ١٩٩٢، فإن اختيار ولي العهد هو شأن من شؤون الملك، على أن يختار (الأصلح) من آل سعود، ما يعني أنه يمكن تجاوز (الأكبر سنّاً).

لكن نظام هيئة البيعة ألغى (الأصلح) وأعطى مجلس العائلة سلطة اختيار ولي العهد.

الذي حدث في تعيين الأمير نايف، وزير الداخلية، لولاية العهد لم يكن سوى تكرار ممل للتجربة السابقة.

استدعى الملك عبدالله أعضاء هيئة البيعة بعد مواراة سلطان الثرى، وقال للحاضرين: (أبي ـ أي أريد ـ نايف ولياً للعهد، أيش رأيكم؟). تفاجأ الأمراء الحضور من السؤال، والذي كان يجب أن يكون: (من تريدون من الأمراء ليكون وليّاً للعهد؟). لكن سؤال الملك بالطريقة التي وضعها، جعل الجميع يجفل ويصمت حتى لا يخالف رغبته، فلم يردوا بالإيجاب أو السلب.

ولأن السكوت دلالة الرضا، كما في الأمثال العربية؛ قال الملك موجهاً كلامه لنايف: (الأخوان ما عندهم مانع. خلاص صرت ولياً للعهد!).

ثم التفت الى الأمراء وقال لهم: قوموا بايعوا!

وانتهى الحفل الى تنصيب نايف.

نُقل عن الأمير طلال قوله، بأن هناك من الخبثاء من اقترحوا على الملك أن يبدأ الجلسة بسؤاله ذاك، كوسيلة لتفادي طرح أمراء آخرين منافسين لمنصب ولاية العهد.

وعموماً، فإن هيئة البيعة ـ وبالنظر الى التجربة الأولى والوحيدة التي مرت بها ـ توضح بما لا يدع مجالاً للشكّ بأنها في أدنى الأحوال لم تقدّم مشاركة حقيقية في اختيار ولي العهد؛ فضلاً عن أنها فقدت قوتها بمجرد أن أعلن الملك في ٢٠٠٩/٣/٢٧ تعيين نايف نائباً ثانياً لرئيس مجلس الوزراء، اي ليكون تلقائياً الرجل الثالث في الدولة، وبالتالي ولي العهد الوحيد المطروح. ويومها غضب الأمير طلال والأمير متعب وآخرون من ذلك التعيين، وهو الذي قاد بالفعل لاحقاً لأن تكون جلسة هيئة البيعة لاختيار ولي العهد بعد وفاة سلطان، بلا طعم، وتكون مهمتها البصم على ما يقرره الملك.



طلال بن عبدالعزيز: انهيار الآمال

في المحصلة، فإن طريقة تعيين نايف ولياً للعهد، لم تخرج عن الطريقة الأولى التي تضمنها النظام الأساسي قبل أن يغيرها، وهو أن الملك يختار ولي العهد، وليس أعضاء هيئة البيعة.. وبالتالي فإن الغرض الأساس من إشراك أمراء العائلة المالكة الكبار أو من يمثلهم في اختيار ولي العهد، لم يتحقق، وعدم التحقق يعني أن الطريقة المبتدعة لم تنجح في زيادة نسبة مشاركة الأمراء المهمشين في السلطة، كما لم تقلّص نسبة السخط لديهم على استفراد بضعة أمراء بها، وبما يتبعها من استحواذ شبه مطلق على الثروة أيضاً.

لماذا كان دور هيئة البيعة هامشياً؟

هل هو الإنصياع لرغبة الملك في نايف، رغم ما هو معروف من كره الملك عبدالله له؟

أم هي التسويات السابقة لاجتماع هيئة البيعة بحضور الملك، بحيث قام الأمير نايف وأشقاؤه بتقديم رشاوى مالية كبيرة أو وعود بتولية إخوته المعارضين أو أبنائهم مناصب في الدولة؟

أم أن هناك أسباباً طارئة، كأن يكون هناك دور أمريكي في ترجيح نايف على غيره، كما يقول البعض؟

أم هي متطلبات السياسة المحلية في ظل تموّجات الوضع الإقليمي والعربي بسبب الثورات المتصاعدة وما يمكن أن تؤثره على الوضع المحلي، فاقتضت الحكمة تعيين الشخص الشديد في الموقع المناسب؟

بنظرنا، فإن السبب الرئيس لأن يصبح نايف ملكاً، هو رجحان

قوّته وقوّة أشقائه على الأرض.

بمعنى آخر، إن تعيين نايف ولياً للعهد، ما هو إلا انعكاس لتوازنات القوى السياسية بين أذرع وأجنحة العائلة المالكة.

أي أن الجناح السديري الذي ينتمي اليه نايف، كما ينتمي اليه سلطان ولي العهد المتوفى، وكذلك الأمير سلمان وغيرهم، هو من الناحية الفعلية الممسك بتلابيب الدولة وأجهزتها منذ سنوات طويلة، وبيده مصادر القوة العسكرية: وزارة الدفاع؛ والأمنية: وزارة الداخلية، فضلاً عن الهيمنة على مؤسسات الدولة الأخرى في المجمل.

لهذا السبب، كان جميع المراقبين المحليين والأجانب يتوقعون أن يتولى نايف ولاية العهد، تأكيداً لسيطرة جناحه على السلطة عمليّاً. في حين أن المنافسين المفترضين غير موجودين في السلطة أساساً، أو هم مهمّشون على أطرافها، أي أنهم مشاركون دونيّون فيها. ولم يكن متوقعاً من هؤلاء الضعفاء، أن يواجهوا خصماً شرساً ومنافساً مسيطراً كنايف، وينجحون في ذلك.

متعب: احتجاج الضعفاء

نعم.. منذ أن تولّى الملك عبدالله الحكم عام ٢٠٠٥، توقّع كثيرون (إمكانيّة) تعديل مسار ولاية العهد، وتفكيك الهيمنة المطلقة للجناح السديري على السلطة. وحتى قبل وصول الملك عبدالله الى كرسي الملك، هناك من الأمراء المهمشين من انضموا اليه، على أمل أنه حين يصل الى الزعامة، فإنه سيكون قادراً على مواجهة العصبة السديرية، وفرض التغيير عليها، أو إضعافها بصورة أو بأخرى، إما اعتماداً على مبدأ أن الأكبر في السن هو الأولى بالمنصب؛ أو اعتماداً على أن الملك القوي بما لديه من صلاحيات يستطيع أن يختار ولياً للعهد من بين حلفائه من أخوته المهمّشين.

بقيت هذه الآمال كبيرة.. فالملك عبدالله لم يعيّن نائباً ثانياً لرئيس مجلس الوزراء. وقيل يومها بأن الملك قادر على إلغاء هذا المنصب من الناحية العملية. ثم إن تلكؤه في التعيين، فُهم منه أنه لا يريد الأمير نايف. وزادت الآمال حين أسّس الملك هيئة البيعة عام ٢٠٠٦، ما عنى أنه أعطى جحفلاً من الأمراء المهمشين من أبناء الملك عبدالعزيز أو من حفدته، دوراً في اختيار الملك القادم.

لكن هذه الآمال العريضة انهارت تلقائياً، وربما دفعة واحدة، حين أصدر الملك عبدالله أمراً في ٢٧ مارس ٢٠٠٩ يقول فيه: (يُعين صاحب السمو الملكي الأمير نايف بن عبدالعزيز وزير الداخلية نائباً ثانياً لرئيس مجلس الوزراء). هذا أصاب الأمراء المعارضين لعصبة السديريين السبعة (كانت تتكون من سبعة اشقاء، هم: فهد، وسلطان، وتركي، وعبدالرحمن، ونايف، وسلمان، وأحمد) بالذهول الممتزج بالغضب والألم. بعضهم ـ كالأمير متعب وزير الشؤون البلدية يومها ـ قرر مقاطعة مجلس الوزراء، واستمر في ذلك نحو عام كامل، الى أن طلب إعفاءه، وتعيين ابنه منصور وزيراً بدلاً منه.

أما الأمير طلال بن عبدالعزيز، فأصدر بياناً بمناسبة تعيين نايف في اليوم التالي، نشرته الوكالة الفرنسية وعدد من الصحف والمواقع الخليجية والسعودية قال فيه: (جرت العادة في المملكة السعودية أن يصبح النائب الثاني وليا للعهد بصورة تلقائية، وهذا الترشيح الأخير للنائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء سيعطي الانطباع بأنه سوف يصبح وليا للعهد تلقائيا. وبالتالي، فإنني أنادي بأن يقوم الديوان الملكي بتوضيح ما عناه بهذا الترشيح وأن ذلك لا يعني أنه سيصبح وليا للعهد. فنظام البيعة هو المسؤول عن ذلك. وأكرر، ومع كل التقدير والاحترام للملك عبد الله، فإنه لا بد من أن يكون هناك بيان يوضح فيه مغزى هذا المرسوم وأنه ليس سوى ترشيح إداري).

لم يصدر البيان الملكي توضيحاً، ولا شرحاً، فاستقرّ الأمر على أن نايف سيصبح ملكاً، وقد مارس دور الملك في ظل ضعف الملك عبدالله ومرضه، وكذلك في ظل غياب الأمير سلطان ولي العهد مدة ٤ سنوات قبل أن يتوفى.

الآن، اكتشف الجميع أن الملك عبدالله شخصية ضعيفة، وأن الآمال التي علّقت عليه من قبل الأمراء بشأن توزيع عادل للسلطة بينهم، أو تلك التي علقت عليه من قبل الشعب للقيام بإصلاحات سياسية، إنما كانت آمالاً كاذبة، كون الرجل كما حاشيته ضعفاء، ولأن الملك كان مهتماً بأن يحصل أعقابه من الأبناء والحفدة على مواقع كبيرة في الدولة. اي أنه بدا مهتماً بأبنائه، وليس بإخوانه. ولذا فقد عيّن عدداً من أولئك الأبناء على رأس المواقع انتظاراً للمستقبل، مبقياً الحرس الوطني أداة دعم أساس لمستقبلهم السياسي.

لربما أخطأ الأمراء المهمشون في تعليق الآمال على الملك، وعلى قدراته المتواضعة. فبمثل شخصيته لا يمكن تغيير مسار التاريخ، ولا تجاوز معادلات وتوازنات القوى على الأرض.

صراع على السلطة لم ينته بين آل سعود

إزاحة مستمرة للإنفراد بالمجد

فريد أيهم

الطريقة التي تمت فيها عملية اختيار نايف ولياً للعهد لا تعني انتقالاً سلساً للسلطة، بقدر ما تعني انتصاراً وغلبة للجناح الممسك بالقوة العسكرية والأمنية وما يتبعها على الأرض. لم يكن اختيار نايف ولياً للعهد، عملية سادت فيها مواصفات البيعة (صفقة اليد؛ وثمرة القلب). ذلك أنه حين جدّ الجدّ، لم يستطع الأمراء المنافسون والمعارضون لنايف أن يقولوا لا. لكن الـ (لا) محبوسة في داخلهم، وقد تظهر في يوم ما، لأن ما قدّم مجرد بيعة ظاهرية من الأمراء حوت ما يمكن وصفه بصفقة اليد، أما القلب فهو ينطوي على الكثير من الغضب والألم والإعتراض.

من الناحية الظاهرية، فان انتقالاً للسلطة مبكراً قد تمّ. الملك عبدالله من مواليد عام ١٩٢٤ (٨٧ عاماً بالتقويم الميلادي، و٩٠ عاماً بالتقويم الهجري)، وهو يعاني من أمراض القلب، كما أمراض الظهر، وغيرها، ما يجعله غير قادر على القيام بمهامه إلا في أدنى المستويات، ما يعني أن الأمير نايف ـ عملياً ـ يدير السلطة كاملة تقريباً، ويرأس مجلس الوزراء حتى مع وجود الملك في الرياض. وإذا كان هناك من معين ومساعد، فسيكون شقيقه سلمان، الذي تم تعيينه وزيراً للدفاع.

أن القبض على وزارتي الداخلية والدفاع، هو الذي ضمن انحصاراً للسلطة في يد السديريين، ولذا كما كان متوقعاً، استحال أن يخرج المنصبان منهما. وهو أمرٌ يدركه الملك، لذلك عمد هو الآخر الى إبقاء رئاسة الحرس الوطني برئاسة ابنه متعب بمرتبه وزير. من يمسك بالقوة على الأرض سيكون له حصة أساس في السلطة. ولذا فإن نجوم الجيل الثالث المتوقعين لإدارة الدولة بعد وفاة الملوك الثلاثة (عبدالله، ونايف، وسلمان) هم: محمد بن نايف المسيطر على وزارة الداخلية بمسمى نائب أبيه نايف؛ وخالد بن سلطان الذي يدير وزارة الدفاع كنائب لعمّه سلمان؛ ومتعب الذي يدير الحرس الوطني إسماً ومسمّى.

إن تحوّل السلطة في كتلتها الكبيرة الى يد الأمير نايف، عنى أول ما عنى استمرار تفرّد الجناح السديري بالسلطة تقريباً. وهذا يعني أن الإنفراد بالسلطة بشكل شبه كامل، وتهميش عائلة ضخمة العدد مثل آل سعود (٢٢ ألفاً تقريباً) يعني إضعافاً للقاعدة الإجتماعية للنظام حتى داخل الأسرة المالكة، التي يشعر الكثير من أعضائها بالحنق على غمطهم حقوقهم وعدم مشاركتهم في إدارة الدولة. هذا يعني أن الإنفراد بالمجد ـ حسب التعبير الخلدوني ـ يفسح المجال لانشقاقات داخل العائلة، لصعوبة إرضاء جميع أفرادها بالمناصب، وبالتالي فإن جلّ ما أدّى اليه تعيين نايف ولياً للعهد، هو تأجيل انفجار المعارضة من داخل الأسرة نفسها على الوضع القائم. وفي ذات الوقت، قد لا يطول الأمر، حتى تظهر أصوات معارضة للنظام من داخل العائلة المالكة، وقد تتخذ تعبيرات مختلفة، بما فيها الدعوة لإصلاحات سياسية، كوسيلة للضغط على محتكري السلطة بأن يتنازلوا لإخوانهم وأبناء عمومتهم عن شيء منها.

العائلة المالكة منشقّة على نفسها اليوم، وإن لم نجد التعبيرات العمليّة لذلك على سطح الأرض. لا أحد ينكر وجود سخط. لأنه قد تم التعبير عنه بالممارسة وبالقول، كما يحدث دائماً من الأمير طلال وأبنائه، أو كما يحدث مع الأمير متعب وغيره.

الإنفراد بالمجد، أي احتكار السلطة بيد بضعة أمراء، يتطلب إزاحة متواصلة لأعداد كبيرة منهم، حتى ضمن البيت السديري نفسه. هذه تجربة تكررت مراراً في التاريخ السعودي، وفي مسيرة عوائل مالكة أخرى. في السعودية، تنتقل الخلافة من الأخ الى أخيه؛ وفي غيرها تنتقل من الأب الى ابنه الأكبر. وحتى الآن، وبسبب غياب الوضوح في مسألة انتقال الخلافة، خاصة فيما يتعلق بأسسها: هل هي الى الأكبر من الأخوة، أم الى الأصلح، ومن يحدد الأصلح؛ فضلاً عن تبدّد الدور المفترض



تركي وعبدالرحمن شقيقا نايف: نهاية الصراع أم بدايته؟

لهيئة البيعة في اختيار المرشح ببقاء ترشيح ولاية العهد بيد الملك عملياً، خلافاً للقانون.. كل هذا يفتح الباب لعملية استبعاد مستمرة للمنافسين في غياب التنظيم، يقوم بها الجناح الأكثر قوة، وفي داخل الجناح الأقوى يقوم الرجل الأقوى بإزاحة منافسيه.

لا غرو مثلاً أن نرى أن الأمير عبدالرحمن

بن عبدالعزيز، نائب وزير الدفاع قد أزيح من منصبه ليتولاه ابن اخيه خالد بن سلطان، وليتولى وزارة الدفاع الأمير سلمان، وهو شقيقه الذي يصغره سنّاً. عبدالرحمن كان يعتقد بأنه الأحق بولاية العهد كونه أكبر سنّاً من شقيقه نايف، ويقال أنه لم يحضر جلسة هيئة البيعة احتجاجاً. ولكن لو جرى التحاكم الى السنّ حتى ضمن الجناح السديري، فإن الأمير تركي بن عبدالعزيز، وهو أيضاً نائب وزير دفاع سابق حتى عام ١٩٧٨، هو أكبر الأمراء السديريين الأحياء. وتركي هذا، لا يحبّذ وصول نايف الى العرش، ومع هذا جرى تجاوزه، وتجاوز أبنائه أيضاً، شأنه في ذلك شأن عبدالرحمن.

بمعنى آخر، فإن عملية الإزاحة والإبعاد لا تقتصر على الإخوة غير الأشقاء، الذين يكبرون نايف سنّاً، كما هو الحال مع متعب وطلال وبدر ونواف، بل تتجاوزهم الى الدائرة الأصغر.

هذا يفضي بصورة تلقائية الى زيادة التوتر داخل العائلة المالكة، وتصاعد نسبة السخط فيها، ومن ثمّ يمكن توقّع حدوث انشقاق حادّ وعلني فيها بأكثر مما رأينا. وإذا كان جيل الآباء (الجيل الثاني ابناء الملك المؤسس عبدالعزيز) لا يميل الآن الى المشاكسة أو غير قادر عليها بالنظر الى الناحية العمرية المرتفعة والضعف الجسدي وغيرهما.. فإن الأبناء (الجيل الثالث، حفدة الملك عبدالعزيز) لديهم الإستعداد للصراع والشجار والمواجهة، ويعتبرون أنفسهم ورثة حقوق آبائهم المضاعة، وبالتالي فهم مسلّحون ـ في غياب نظام واضح وشفاف للخلافة ـ بمدعيات غير قابلة للنقض في الجدل الداخلي بين الأمراء، ولا يمكن حسمها إلا بالقوة والإخضاع البدني، وحتى القتل المعنوي كما حدث لعدد من الأمراء: مساعد مثلاً؛ وطلال منذ انشقاقه عام ١٩٦٢؛ وحتى بندر بن سلطان الذي قُضي عليه لمحاولة تجاوزه ترتيبات عائلته في الخلافة ليصبح ملكاً، حيث أصبح مغيّباً منذ مدّة طويلة، ويرجح أنه معتقل.

ما نودّ التأكيد عليه هنا، أن سلاسة انتقال ولاية العهد من الأمير المتوفى سلطان الى شقيقه نايف، والتي شهدناها جميعاً، دون حدوث انفجار علني للخلاف، تخفي احتقاناً متراكماً قابلاً للإنفجار في أية لحظة بين أمراء وأميرات يتزايد عددهم، كما تتزايد طموحاتهم للسلطة والثروة.

كان الملك عبدالعزيز مؤسس الدولة قد عانى من المنافسة هو الآخر، حيث ظهر اليه أبناء عمه سعود بن فيصل بن تركي الذين سموا بالعرائف، ورأوا أنهم أحقّ بالسلطة منه. كانت ثورتهم مسلحة، ودعمها الأشراف في الحجاز قبل زوال ملكهم. ثم وجد مرة أخرى، أن هناك أجنحة من ذات البيت السعودي تريد المنافسة أيضاً، مثل عبدالله بن جلوي آل سعود امير الأحساء، حيث كان يرشح ابنه فهد لتولي منصب كبير في الدولة التي شارك في تأسيسها قبل ان يقتل على يد العجمان. وتصاعدت الطلبات من أفرع أخرى من آل ثنيان، ما أدّى الى طرد عبدالله بن ثنيان أحد رجاله المعتمدين، وكذلك من فرع آل فرحان. وأخيراً بقي عدد من اخوة الملك عبدالعزيز الأشقاء ـ خاصة عبدالله ـ يريدون ولاية العهد لهم أو لأبنائهم خاصة، وكانوا يبحثون عن حصّة كبيرة في السلطة. وتشير وثائق بريطانية أن عمليات اغتيال حدثت لأبناء أخي الملك عبدالعزيز دبرها هذه الأخير.

أيضاً، فإنه حين بدا أن الملك عبدالعزيز قد استفرد بالملك وهمش بقية أفرع العائلة المالكة، وحصر الخلافة في أبنائه، وجد مشكلة حاضرة لديه، وهي الخلاف بين أبنائه وهو حيّ يرزق. وبالذات كان هناك الخلاف بين منصور وزير الدفاع، وسعود ولي العهد، وفيصل نائب الملك على الحجاز. لكن منصور توفي في حادث سيارة، قيل أنه مدبر، حسب الوثائق البريطانية، وبقي الأخوان الآخران يتصارعان في حياة أبيهما وبعد وفاته الى أن استطاع فيصل تجريد سعود من الحكم وطرده الى اليونان ليموت منفياً فيها عام ١٩٦٨.

وهكذا، فنحن نتحدث عن صراع مستمر، مع أن الأمراء يقسمون في هيئة البيعة على (الحفاظ على وحدة الأسرة المالكة) وذلك قبل القسم بالحفاظ على الدولة موحدة!

لقد اصبحت السلطة سديرية كاملة ولن تخرج من هذا الجناح في المدى المنظور، بقدر ما هو مقدّر للعائلة أن تحكم. كانت هناك فرصة لإبعاد هذا القدر التاريخي، لكن الملك عبدالله أضعف من أن يغير الأمر.



منصور، فيصل، سعود: حكاية الصراع الأولى على السلطة

بتحول المملكة السعودية الى مملكة سديرية، يتقلص الإجماع بين الأمراء، وبمقدار ما يكون خلافهم وانشقاقهم سيكون هناك في المقابل انشقاق في نجد الحاضنة اجتماعياً والتي ينتمي اليها الأمراء. كما سيكون هناك انشقاق في المجتمع في أية بادرة صراع داخلي، على النحو الذي شهدناه في الدولة السعودية الثانية، حين انشقّ ابناء فيصل بن تركي على أنفسهم (سعود وعبدالرحمن من جهة، وعبدالله ومحمد من جهة اخرى)، فتشظت الدولة، وانقسم المجتمع النجدي بالذات، وقامت الحروب الأهلية، والتي انتهت بسقوط الحكم السعودي على يد آل الرشيد.

قد لا يكرر التاريخ نفسه بهذا الشكل الحرفي. لكن من المؤكد أن الدولة السعودية تعيش حالة من الإنحدار والتردّي، حيث تضعف المشروعية للحكم، وحيث تجديد الدولة أمرٌ يستحيل حدوثه مع جيل من العجزة يحكمها، وبالتالي فإن الهرم كما الفساد، كما الجشع والطمع والإستئثار والصراع على السلطة، كلها تلعب دوراً أساسياً في رسم نهايتها.

المملكة المتشدّدة داخلياً وخارجياً في العهد الجديد

الملك مصاب بالزهايمر ونايف وسلمان يديران المملكة

يحي مفتي

الى أيّ حدّ هي المملكة قد تغيّرت بسبب التعديلات في رؤوس السلطة؟ وفي أيّ اتجاه؟ هذا هو المهم حين الحديث عن تعيين نايف ولياً للعهد، وشقيقه سلمان وزيراً للدفاع، الى جانب الإطاحة بعبدالرحمن نائب وزير الدفاع، وخسارة عدد من الأمراء المهمشين في السلطة معركتهم معهم مع الجناح السديري، كالأمير طلال.

لماذا ستتغير السعودية سياسة، إن كانت الوجوه الحاكمة لم تتغيّر، حتى لو تغيّرت المناصب؟ فنايف وسلمان كانا صانعي سياسة قبل وبعد التغييرات في المناصب، ولم تدخل وجوه جديدة تنافسهما، فحلقة صانعي القرار كانت أربعة، تقلّصت الى ثلاثة أعضاء من العائلة المالكة بعد موت الأمير سلطان، وهم الملك ونايف وسلمان. هل سيزيد نايف من صلاحياته الفعلية (رغم تصاعدها إسمياً) بعد أن أصبح ولياً للعهد؟ وكذلك سلمان: هل سيصبح أكثر قوة في جهاز الدولة؟ وعلى حساب من؟ هل على حساب الملك الذي قد تنخفض صلاحياته، أم على حساب أمراء آخرين؟

إن تقلّص عدد صانعي القرار، يزيد من حجم السلطة ابتداءً. فصلاحيات الأمير سلطان سوف يرثها وبالتحديد شقيقاه نايف وسلمان، وقد أخذ أحدهما ولاية العهد، والثاني أخذ وزارة الدفاع، وأسند الطيران والمفتشية العامة الى آخرين. إن تزايد صلاحيات الأمير نايف، تنبع من كونه أنه لم يخسر ما بيده، أي وزارة الداخلية، بل أضيفت له مسؤوليات جديدة. وقد يقال أن تلك المسؤوليات كان يمارسها فعلاً بسبب مرض أخيه سلطان الذي دام سنوات عديدة، وبالتالي لم يتغير وضعه كثيراً. لكن الأمير سلمان، أمير الرياض، فإنه فقد منصبه لصالح الأمير سطام. مع هذا، فهو قد حصل على إمكانيات وصلاحيات أكبر من خلال منصبه الجديد كوزير للدفاع، فضلاً عن أن دوره كمسؤول عن شؤون أفراد العائلة المالكة الخاصة، فيما يتعلق بالمال والسفر والمشاكل الخاصة، سيبقى ملفها بين يديه.

أما الملك عبدالله، فموت الأمير سلطان، لم يضف اليه شيئاً من السلطات، فضلاً عن أنه مكتف بما لديه، وغير قادر على تحمّل مزيد من الأعباء تضيفها على كتفيه أية صلاحيات جديدة مفترضة. ومن المرجح جداً، أن الشقيقين نايف وسلمان، سيديران الدولة باسم الملك الذي يضعف يوماً بعد آخر ويعجز عن القيام بمسؤولياته كملك، خاصة إذا ما تأكّد خبر أنه مصاب بأعراض أولية من الزهايمر يفترض أن تتفاقم سريعاً لتجعله بعيداً عن السلطة، وقد يجري عرضه على طبيب يقرر إزاحته من السلطة، حسب نظام هيئة البيعة.

لقد تمّ تقسيم إرث الأمير سلطان المالي بين أبنائه وهو حيّ، وكذلك تركته السياسية بعد موته بين حزبه (السديري) خاصة أخويه سلمان ونايف، وهما بالمناسبة مقربين جداً من بعضهما البعض، فضلاً عن ابن ولي عهد السابق خالد بن سلطان، الذي جرى ترفيعه ليتولى نيابة وزارة الدفاع بدلاً من عمّه عبدالرحمن الذي أطيح به رغماً عنه.

وهكذا، فإن الحلقة الحاكمة الضيّقة، أضافت الى سلطاتها سلطات أخرى إضافية، على حساب أطراف من خارج الحلقة ومن خارج المشهد السياسي الملكي السعودي نفسه.

هذه هي طبيعة المشهد الداخلي المتعلق بالأسرة الحاكمة.

وهناك مشهد آخر له علاقة بالسياسة الداخلية السعودية، فهل سيتغيّر فيها شيء؟

يرجح أن التغيير سيكون طفيفاً، عدا ما تستدعيه الإستجابة للأحداث الخارجية سلباً أم إيجاباً.



الزهايمر قد يعيّن نايف ملكاً!

من المؤكد أن المؤسسة الدينية الوهابية تعتبر نفسها رابحة من تولّي نايف ولاية العهد. ذلك أن رهانها لم يكن يوماً إلاّ سديرياً، وهي لا تكنّ ودّاً للملك، ولا تعتبره خيارها، وتراه بأنه (لا يحبّ المشايخ) أو هو لا يرى منحهم المزيد من السلطات. كان الرهان دائماً على

الحزب السديري، وعلى الأمير نايف بالذات، ثم الأمير سلمان. كان رهان المشايخ الكبار والصغار منهم قائم على حقيقة أن مكانتهم في الدولة والمجتمع مرتبطة بالأمير نايف، الذي هو نفسه قام بتوثيق عرى العلاقات معهم بصورة واضحة منذ منتصف التسعينيات الميلادية الماضية، ولم يفوت مناسبة إلا وأشاد بهم، ودافع عنهم، بل أنه هو الذي أكّد على حقيقة أن (الدولة سلفية) في تصريحات متكررة، وليس فقط أن مذهب العصبة الحاكمة سلفي فحسب، رغم أن السلفيين يمثلون أقليّة في السعودية. لهذا اعتبره السلفيون (أمير السنّة) و(المدافع عن السنّة) وقد تلقّف نايف ذلك وأسس جائزة باسمه (جائزة الأمير نايف للسنة النبوية). أدرك الأمير نايف بأن التحالف السعودي ـ الوهابي يمثّل ضمانة لبقاء الحكم السعودي، وأن مكانته السياسية ستتصاعد إن اتّكأ هو على المؤسسة الدينية التي بدت منبوذة اجتماعياً منذ أحداث سبتمبر عام ٢٠٠١.

لكن المدهش هو قدرة الأمير نايف على الجمع بين ضرب الجناح الوهابي القاعدي المتشدد، واحتواء الجناح الأقل تشدداً لكي يعمل لصالحه، مقابل تبنّي بعض سياساته، فيما يتعلق بالمرأة والإصلاحات وما أشبه.

الآن وقد وصل الأمير نايف الى مبتغاه، وهو إدارة الدولة من الناحية الفعليّة، معزّزاً بسلطة ولاية العهد، وبضعف يقارب الشلل للملك عبدالله.. فهل سيفكّ تحالفاته مع التيار الوهابي المتشدد، أو يخففها، خاصة وأنها تحالفات تجلب نقمة الأكثرية من المواطنين الباحثين عن متنفس اجتماعي وسياسي بعيد عن التشدد؟

لا يبدو أن هذا الأمر سيتحقق. فالوهابية مطلوبة في مقاومة الإصلاحات السياسية بالذات، وإن كان ثمن دعمها بذل المزيد من المال والمناصب والسلطات للتيار النجدي الوهابي الحليف.

بالنسبة للمواطن العادي، فإن وصول نايف الى السلطة بشكل شبه كامل، يعني المزيد من التشدد الديني والإجتماعي والسياسي والقمع الأمني. ليس في نيّة النظام السعودي القيام بإصلاحات اجتماعية وسياسية، حتى مع وجود عواصف سياسية بفعل الربيع العربي بما تلقيه من ظلال على الوضع الداخلي. بل هناك مقاومة شرسة لتأثيرات الربيع العربي، وتوسعة للدور الأمني، واستخدام المزيد من القبضات الحديدية لإبقاء السلطة آمنة من أن يشترك في صناعة قرارها الشعب، ولو في الحدود الدنيا.

وعلى الصعيد الإجتماعي، فإن وضع المرأة سيبقى على حاله، خاصة وأن نايف قال ذات مرّة في مجلس الوزراء، بأنه لن يسمح لها بقيادة السيارة مادام هو على قيد الحياة! قال ذلك وهو وزير للداخلية، أما اليوم فهو ولي للعهد وملك غير متوّج، أو قد يتوّج في فترة قصيرة قادمة، في حال توفي الملك عبدالله.

الملمح الداخلي العام في عهد الأمير نايف ولياً للعهد أو ملكاً، سيكون الجمود السياسي والإجتماعي معزّزاً بالقبضة الأمنية والدعم السلفي/ الوهابي. في هذا نكون أمام مشهد مستمر، إن لم يتطوّر الى الأسوأ، فإنه لن يتطور الى الأحسن.

أما الملمح الخارجي، فالأمير نايف لم يظهر اهتماماً كبيراً به. كان الهمّ الأمني مستحوذاً على كل تفكيره ونشاطه. اليوم هو ركن أساس في الشأن الخارجي الذي لم يرد أن يلعب في ميدانه، رغم أنه يستطيع. لكن هناك مشكلة كبيرة تواجه نايف في الموضوع الخارجي، فهو ليس فقط غير خبير به، ولكن رأيه المطلوب اليوم يأتي في ظل انحسار للسياسة الخارجية السعودية، وفي ظل معاداة سعودية لأطراف عديدة كما في العراق وسوريا والسودان والى حد ما لبنان والجزائر، فضلاً عن عدائه للثورات العربية، حيث أن أعمدة السعودية خارجياً قد تمّ اسقاطها بسقوط النظام المصري، وترنّح النظام اليمني، وسقوط التونسي بن علي، وغير ذلك. زد على هذا، فإن الأمير نايف عادى أطرافاً عديدة خارجية ضمن زاوية أمنية سياسية، أراد ان يحملها مسؤولية اخفاقاته الداخلية، حيث شنّ هو وإعلام السعودية حملة من الكراهية والعداء على العديد من الحركات الإسلامية خاصة الإخوان المسلمون في مصر، وحركة النهضة في تونس، وحملها مسؤولية نشر العنف في السعودية، في حين أن العنف السعودي مفرّخ ومنتج داخلياً وهو يفيض ويرسل الى دول الجوار القريب، والى أماكن بعيدة في العالم.

الآن ماذا يستطيع أن يفعل نايف وقد قارب أعداء أصدقائه في مصر وتونس من الوصول الى الحكم (النهضة والإخوان)؟ هل سيلقم إعلامه حجراً؟ هل سيعتذر ويقوم بالتفافة على مواقف السعودية السابقة ويبني على الأمر الواقع؟ لا يبدو ذلك، فالحكومة السعودية اختارت معاداة الشعوب، وصارت هي المعنية بالثورات المضادة، وأصبحت مكروهة شعبياً وسياسياً في معظم الأقطار والدول العربية والإسلامية. ولا يبدو أن السعودية ستغير نهجها قريباً. حتى في اليمن، كيف ستخرج السعودية من المأزق، وأية سياسة ستتبنّى وهي قد دعمت علي صالح، وحاربت كل أولئك المعارضين الذين سيصبحون جزءً من النظام السياسي اليمني المستقبلي؟

الأمير نايف كان يفضل سياسة خشنة مع ايران، والآن بإمكانه أن يفتح العداء على آفاق واسعة، وهو اتجاه تحبّذه السياسة الغربية عامة. لكن من المؤكد أن الطابع العدائي للسياسة الخارجية السعودية كلف الأخيرة كثيراً، وسيكلفها أكثر في المستقبل. والسياسات الماضية يبدو أنها ستستمر في التشدد كما هو الموقف من موضوع الثورة في البحرين او اليمن. هذا كلّه يعني أن الطابع المتشدد قد يكون عنواناً أيضاً للسياسة الخارجية السعودية، إذا ما قرر الأمير نايف أن يغمس يديه فيه. أي ان التشدد الداخلي سيتناغم مع التشدد الخارجي، ما يفضي على عدم تحصين الداخل أيضاً بعكس ما يشتهي الأمير نايف.

من المرجح أن تبقى مسارات السياسة الخارجية السعودية على وضعها الحالي، ولكن بلا فاعلية كبيرة، فالجميع يشهد ضعف الأداء السعودي وما ينجم عنه من خسائر متتالية، لن يكون سقوط حسني مبارك وبن علي آخرها. كما لن يكون العداء الشعبي العربي قليلاً بل سيرتفع الصوت عالياً أكثر فأكثر.

نايف:
العداء للإخوان باقٍ!

نقل جهاد الخازن (الحياة، ٢٠١١/١١/٣) عن الأمير نايف قوله فيما يتعلق بالإخوان المسلمين، وكأن ذلك رسالة موجهة لهم: (عندما طُرد الإخوان المسلمون من مصر وسورية جاؤوا الينا واحتضنّاهم، إلا أنهم جازَوْنا جزاء سِنمّار. الإخوان المسلمون كانوا مدعومينَ من بريطانيا، أفسدوا العالم العربي. هم وجماعة التكفير والهجرة كانت لهم مؤثرات في الشباب أساسها أساتذة إخوانيون في الجامعات زرعوا الفكر الإخواني وطلع من عندنا فكر متطرف، وذهبوا الى أفغانستان).



أقوياء الجيل الثالث: خالد بن سلطان/ الدفاع، متعب بن عبدالله/ الحرس الوطني، محمد بن نايف/ الداخلية

نايف ولياً للعهد..

الجيل الثالث وتقسيم الدولة أشلاءً

خالد شبكشي

الحديث عن موقع الجيل الثالث ـ حفدة الملك عبدالعزيز مؤسس الدولة ـ وتوليه السلطة بدلاً من الجيل الثاني ـ أبناء المؤسس، بدأ منذ سنوات طويلة، تصل الى ثلاثة عقود، ولازال مستمراً بوتيرة أبطأ، لأسباب أساسية، يأتي في مقدمتها أن الجيل الثالث صار هو الآخر جيلاً عتيقاً، عجوزاً أيضاً، بالنسبة لعدد من المنتسبين إليه.

هناك ستة أجيال في العائلة المالكة، تبدأ بمؤسس الدولة، وتنتهي بأبناء حفدة الجيل الثالث! ما يشير الى أن الجيل الثالث في كثير من أعضائه هم عجزة أيضاً، ولهم أحفاد، بل لبعضهم أحفادهم أبناء. وتالياً فإن من المفترض ـ إن كان الحديث عن ضخ دماء شابّة في شريان حكم العائلة السعودية ـ أن يتولى السلطة خليط من الأمراء ينتمون الى الجيلين الثالث والرابع وربما الخامس أيضاً، لكن الواقع يقول بأن الجيل الثاني لازال حاكماً ومهيمناً، وأن الجيل الثالث وقلة من أمراء الجيل الرابع لازالوا تحت التدريب!

ولقد طرح تولي نايف ولاية العهد، وسلمان وزارة الدفاع (ما يعني أنه سيكون ولي العهد التالي) مسألة التحوّل في الحكم الى الأجيال الجديدة، أي الى الجيلين الثالث والرابع تحديداً. الجيل الأول، ليس به سوى شخص واحد، هو مؤسس الدولة، وبموته عام ١٩٥٣ تحوّل الحكم الى أبنائه منذئذ وحتى اليوم.

أصغر أبناء الجيل الثاني الأحياء من أبناء الملك عبدالعزيز، هو مقرن، رئيس جهاز الإستخبارات، وهو من مواليد عام ١٩٤٥، أي أنه يبلغ من العمر ٦٦ عاماً بالتقويم الميلادي، و٦٨ بالتقويم الهجري. كان يعتقد بأنه سيكون الحل الوسط بين الجيلين الثاني والثالث، فهو يمتلك مواصفات الثالث لكنه ينتمي الى الجيل الثاني. لكن الخلافة تحوّلت الآن الى الأميرين نايف وسلمان، ما عنى أن اتجاهات الخلافة لن تكون بعد الأمير سلمان، أفقية (من الأخ الى أخيه)، بل عمودية من الجيل الثاني الى واحد من أبناء الجيل الثالث المنتمين على الأرجح الى العصبة السديرية.

السؤال الذي يطرح نفسه، إذا ما قدّر للنظام السعودي البقاء، ما قيمة تجديد الدولة بدماء عتيقة من أبناء الجيل الثالث؟ أليس ذلك يعني تحويل الحكم من الأبناء المعمّرين الى الأحفاد المعمّرين أيضاً؟

الجيل الثالث عجوز!

التفاوت الكبير بين أبناء الجيل الثاني في العمر (الأول تركي ولد عام ١٩٠٠، والأخير حمود ولد عام ١٩٤٧)، ولّد تفاوتاً في أعمار الجيل الثالث، فعمر بعضهم أكبر من عدد من أعمامه، كما هم العديد من أبناء الملك سعود. وبعض الأحفاد ـ كعبدالله الفيصل (١٩٢٣ ـ ٢٠٠٧) ـ تولّى مناصب ووزارات في عهد جدّه المؤسس، وهو أكبر من عدد من الملوك، ومات قبل

الملك الحالي أيضاً، ولديه من الحفدة من هم أكبر سنّاً من أعمام أبيه (ابنه خالد من مواليد ١٩٤٢، ومحمد من مواليد ١٩٤٣، وتوفي هذا العام ٢٠١١).

الأعمار بيد الله، ولكن إذا افترضنا أن الملك الحالي سيمضي في الحكم ثلاث سنوات أخرى، وأن نايف من بعده سيمضي خمس سنوات في العرش، ومن بعده سلمان سيصبح ملكاً لخمس سنوات أخرى مثلاً، بعدها كم ستكون أعمار الجيل الثالث حينها (أي في حدود عام ٢٠٢٤)، خاصة أولئك الذين يمسكون بمناصب اليوم؟

خالد بن سلطان نائب وزير الدفاع (من مواليد عام ١٩٤٨) سيكون عمره حينها ٧٦ عاماً؛ وأخوه فهد ـ أمير تبوك (٧٤ عاماً)؛ وأخوه الآخر بندر بن سلطان (٧٥ عاماً)؛ وتركي بن سلطان مساعد وزير الإعلام (٦٥ عاماً)، وهكذا. ومن أبناء فيصل هناك سعود الفيصل (١٩٤٠) سيكون عمره ٨٤ عاماً، ومثله تماماً أخوه خالد الفيصل فهو من مواليد نفس العام؛ وأما تركي الفيصل، رئيس الإستخبارات العامة السابق فهو من مواليد ١٩٤٥، وسيكون عمره ٧٩ عاماً. من ابناء الأمير نايف هناك سعود بن نايف رئيس ديوان أبيه، ومحمد بن نايف مساعد وزير الداخلية، كلاهما سيكون عمره في الستينيات. وأبناء الملك فهد، هناك محمد أمير الشرقية، سيكون عمره ٧٤ عاماً. ومن أبناء سلمان وزير الدفاع هناك سلطان بن سلمان، مسؤول هيئة السياحة، من مواليد ١٩٥٦، سيكون عمره حينئذ ٦٨ عاماً. وإذا ما أتينا أخيراً الى أبناء الملك الحالي عبدالله، فمتعب سيكون عمره ٧١ عاماً (مواليد ١٩٥٣)؛ ومشعل أمير نجران وعبدالعزيز المستشار عند أبيه ستكون أعمارها في منتصف الستينيات الميلادية.

بالمختصر المفيد.. لن يترك الجيل الثاني الحكم للجيل الثالث إلا بعد أن يصبح معظم أبناء هذا الجيل عجزة أيضاً مثل آبائهم، وهذا يضيف أعباءً كبيرة على رجال الحكم، خاصة مع تبدّله المستمر بتبدّل الملوك ـ على افتراض أن ملك الموت يختار الأكبر سنّاً!! ـ ومثل هذا يسبب عدم الإستقرار السياسي، ويزيد من حدّة الصراعات.

بيد أن هناك قضيّة أخرى ذات علاقة بمسؤوليات الجيل الثالث في الحكم. فحتى الآن لم يعيّن أيّ أمير في موقع الوزارة، اللهم إلا حالة نادرة هي الأمير منصور بن متعب وزير الشؤون البلدية منذ عام ٢٠٠٩، والذي عيّن في ظرف طارئ، بسبب غضب أبيه الوزير على تعيين نايف نائباً ثانياً ورفضه حضور جلسات مجلس الوزراء التي يرأسها نايف، وكذلك لأن منصور كان وكيل الوزارة التي وزيرها أبوه.

توزيع السلطة
أشلاء وتحصيصها

هناك من يعتقد، وهو صحيح الى حدّ ما، أن (معظم) أوصال السلطة قد تمّ تقطيعها وتقسيمها على الجيل الثالث، وبوجود آبائهم أحياء أحياناً، وبالتالي فإن هؤلاء يديرون الدولة كأمراء ووكلاء مناطق ومسؤولي هيئات وأجهزة، ولكن تحت رعاية الجيل العجوز الذي يقوم بالإشراف على السلطة دونما ممارستها فعلياً إلا فيما ندر، وفي القضايا الإستراتيجية المتعلقة بوجهة الدولة السياسية داخلياً وخارجياً.

ما جرى خلال العقد الماضي يكاد يكون توزيعاً لأشلاء السلطة على أبناء الملك المؤسس وحفدته، ولكن تحت ضابطة وسيطرة الجناح السديري الذي منح أبناءه المراكز الأساسية والمهمة. ربما لم ينته حتى الآن من توزيع بقية الأشلاء، فهناك مجموعة من أبناء الملك عبدالعزيز لم تنل نصيباً من كعكة السلطة، سواء كانوا بأشخاصهم أو أبنائهم، مثلما هو الحال بالنسبة للأمراء أبناء سعد بن عبدالعزيز، وأبناء محمد أبي الشرين، وعبدالرحمن، وأبناء مشاري، وطلال، وعبدالإله (اعطي منصباً اسمياً كمستشار للملك وما أكثر مستشاريه العاطلين عن العمل!)، وممدوح (الذي ابعد عن امارة تبوك ليتولى مركز الدراسات الإستراتيجية، ولم يكن هناك من مركز ولا حتى مكتب له! فتقاعد وأصبح سلفياً في سابقة فريدة في هذه الأسرة!) وهذلول ومشهور ومساعد الذي لم يتول أي من أبنائه منصباً. هناك أيضاً فواز حيث لم يخلف أبناءً، وحمود الذي لم يخلف ذكراً فضاعت حصته، ومشعل وزير الدفاع السابق الذي لم يعيّن أحدٌ من أبنائه.

عدا عن هذا، فإن بقية أبناء عبدالعزيز حصلوا سواء لأنفسهم أو لأبنائهم شيئاً ما.

لنبدأ بالقابضين على السلطة:

- فالملك عبدالله، لأبنائه حتى الآن، حصّة: رئاسة الحرس الوطني بقيادة متعب؛ ومشعل أمير نجران منذ ٢٠٠٩، وعبدالعزيز مستشار عند أبيه. وأما خالد الذي كان وكيلاً للحرس في المنطقة الغربية فقد عزل عن منصبه رغم أنه أكبر أبناء الملك، والسبب أن الجناح السديري ـ في بداية التسعينيات الميلادية من القرن الماضي ـ أغواه للتمرد على أبيه والقيام بانقلاب عليه مقابل الحصول على منصب كبير، فطرده الأب منذئذ، ولكنه اليوم كلف بأن يكون نائباً عن أبيه في هيئة البيعة!
- أبناء ولي العهد السابق سلطان، ويتولون: خالد كنائب وزير الدفاع؛ وفهد أميراً لتبوك؛ وبندر أميناً عاماً لمجلس الأمن الوطني (بلا وظيفة حقيقية، وبندر نفسه معتقل على الأرجح بتهمة الإعداد لإنقلاب قبل نحو ثلاثة أعوام)؛ وهناك تركي بن سلطان وكيلاً لوزارة الإعلام؛ وسلمان بن سلطان، يشغل مساعداً لبندر في مجلس الأمن الوطني!
- أما نايف وزير الداخلية وولي العهد الحالي: فهناك محمد بن نايف مساعد وزير الداخلية (الوزير فعلياً)؛ وسعود رئيس ديوان ولي العهد، وقد سبق ان تولى سفارة بلاده في مدريد، ونيابة أمارة الشرقية.
- سلمان، وزير الدفاع، توفي ابناه الكبيران: فهد (١٩٥٥ ـ ٢٠٠١) بسبب المخدرات، وكان نائباً لأمير الشرقية؛ وأحمد (١٩٥٨ ـ ٢٠٠٢) بسبب الإدمان على الكحول وكان رئيس مجلس ادارة الشركة السعودية للأبحاث والتسويق؛ ولم يتبق له من الأبناء في السلطة سوى سلطان بن سلمان، الذي يشغل منصب

رئيس هيئة السياحة.

• **بالنسبة للملوك الآخرين السابقين:**

من أبناء الملك سعود: وعدد الأبناء يزيد على ٦٥، والبنات أكثر من ذلك، فإنه جرت تصفية مواقعهم وأزيحوا عن السلطة، كان هناك مشعل بن سعود (مواليد ١٩٤٠) الذي كان أميراً لنجران حتى ٢٠٠٨. والآن هناك ابنه فيصل يعمل نائباً لأمير القصيم. ايضاً هناك محمد بن سعود (مواليد ١٩٣٣) الذي شغل آخر منصب له كأمير للباحة حتى عام ٢٠١٠، وقد سبق له أن تولى مناصب عديدة في عهد أبيه الملك سعود كرئاسة الحرس الملكي، ورئاسة الديوان الملكي، وكان وزيراً للدفاع، ووزيراً للمالية، الى أن أطيح بابيه الملك في انقلاب فيصل. هناك أبناء عديدون للملك سعود لازالوا أحياء، ولكنهم كبار في السن، وقد سبق لهم أن تولوا مناصب في عهد أبيهم الملك، وكأن الدولة كانت مزرعة خاصة له دون إخوته!. من بين الأحياء المشهورين: خالد وعمره يقرب الثمانين عاماً، وكان قد تولى رئاسة الحرس الوطني في عهد أبيه، ثم تولى إدارة جامعة الرياض في عهده أيضاً. وهناك منصور بن سعود تولى منصب رئاسة الحرس الملكي والحرس الخاص في عهد أبيه؛ وأيضاً مساعد وتولى امارة تبوك وسفير الكويت ووكالة وزارة الدفاع، وغيرهم.

ومن أبناء الملك فيصل الذين يتولون مناصب اليوم: سعود، لوزارة الخارجية؛ وخالد لأمارة مكة. وكان هناك تركي رئيساً للاستخبارات، ويحتمل أن يحصل على منصب أخيه سعود في حال قرر التقاعد!

ومن ابناء الملك خالد ممن مثّلوا في السلطة: فيصل بن خالد (مواليد ١٩٥٤) يتولى أمارة عسير.

ومن أبناء الملك فهد: هناك أمير الشرقية محمد بن فهد منذ ١٩٨٥، في حين خسر سعود بن فهد منصبه كنائب لرئيس الاستخبارات، كما خسر عبدالعزيز بن فهد منصبه كوزير دولة. ايضاً هناك نواف بن فيصل بن فهد رئيس رعاية الشباب (مواليد ١٩٧٧) وقد ورث المنصب من أبيه فيصل الذي توفي في ١٩٩٩ بسب الإدمان على المخدرات؛ ومن ثم من عمّه سلطان الذي تولى المنصب قبل أن يسفّ فيعزل عام ٢٠١١.

• **وإذا ما أتينا الى أبناء الملك عبد العزيز الكبار، ومن يمثلهم في السلطة نجد التالي:**

أبناء ناصر بن عبدالعزيز، الذي تجاوزه فهد ليصبح ملكاً، فله تمثيل في السلطة بأربعة من الأبناء: محمد أميراً لجازان، وتركي الرئيس العام للأرصاد وحماية البيئة، وعبدالرحمن محافظ الخرج، ومنصور مستشاراً للملك.

ومن أبناء بندر بن عبدالعزيز، هناك: فيصل أميراً للقصيم؛ وخالد قائداً في القوات البرية السعودية.

ومن أبناء بدر الذي كان يتولى نيابة الحرس الوطني حتى نوفمبر ٢٠١٠، هناك: فهد، أميراً لمنطقة الجوف.

ومن أبناء عبدالمحسن، ابنه سعود أميراً لحائل.

ومن أبناء نواف، رئيس الإستخبارات السابق، هناك محمد: السفير السعودي في لندن؛ وعبدالعزيز مساعد رئيس الإستخبارات.

ومن أبناء ماجد، هناك: مشعل، محافظ جدّة، وعبدالعزيز أمير المدينة منذ خمس سنوات ٢٠٠٦.

وكما ذكرنا، فإن متعب تم تمثيله بابنه منصور كوزير للشؤون البلدية.

ولا يوجد تمثيل لأبناء الأمير منصور: أول وزير دفاع سعودي. ولا لتركي الأول، الإبن البكر لعبدالعزيز، فقد أنجب ولداً هو فيصل، ولا يوجد سوى الحفيد عبدالله، الذي هو عضو هيئة البيعة. كما أن تركي الثاني، أي تركي بن عبدالعزيز (احد السديريين السبعة) فكان نائباً لوزير الدفاع، وله العديد من الأبناء، ولكن لم يمنحوا أي تمثيل في السلطة، وربما كان هذا هو السبب الذي دفع بابنه سلطان ان يعلن معارضته لأعمامه من جنيف قبل أن يختطف منها عام ٢٠٠٤.

أيضاً طلال قضي عليه سياسياً منذ معارضته لعائلته في ١٩٦٢، ولم يعيّن منذئذ في منصب لا هو ولا أي من أبنائه، رغم رغبتهم الشديدة في ذلك. ينطبق العزل ايضاً على أبناء محمد بن عبدالعزيز المعروف بأبي الشرين.

هناك أمراء خسروا مناصبهم ولم يحصلوا هم على شيء من اشلاء السلطة، مثلما هو الحال مع عبدالإله، وبعضهم بيده شيء كسطام الذي صار أميراً للرياض، أو أحمد نائب وزير الداخلية.

وفي الجملة، فإن السلطة قد حصصت وتوزّعت على الجيل الثالث وبعض من الجيل الرابع. ونلاحظ أن التقسيم في التركة غير عادل سواء على مستوى أبناء الملك عبدالعزيز، أو على مستوى أحفاده. هناك بين الأبناء من حرموا وطمست أسماؤهم، لمخالفتهم، وهناك حفدة قتلوا، مثلما هو خالد بن مساعد، ثم أخيه فيصل الذي قتل الملك فيصل في مارس ١٩٧٥. وبعضهم عانى بسبب خلافات أبيهم كأبناء طلال، وبعضهم تعجّل الوصول الى السلطة فسقط كخالد بن الملك عبدالله، وبندر بن سلطان، وحتى الوليد بن طلال الذي قال في مقابلة انه لا يستطيع أن ينتظر كيما يصبح ملكاً!

هناك محاولة للحدّ من انفلاش العائلة المالكة بشكل كبير، لهذا لا بدّ أن تكون هناك بعض الترضيات في المناصب كما رأينا. ولكن هذا ليس هو ما تمّ تحصيصه فقط. ليست المناصب وحدها بل المال والثروة الى حدّ ما. ولكن هذا غير مدرك باليد بشكل واضح عدا قلّة من المعلومات المتوفرة. فهناك بين الأمراء من تنازل عن حصته السياسية مقابل المال، كما هو مشعل، وربما أبناؤه ايضاً. وربما يكون أبناء الملك خالد وكذلك شقيقه محمد أبي الشرين من بين هؤلاء. فلهؤلاء قناعة بأنهم ليسوا رجال سياسة، فتمّ تعويضهم مالياً، كحصص محددة أو كإقطاعات من الأراضي أو كحصص نفطية رأينا بعضاً من وثائقها حتى للأميرات، فضلاً عن تحويل المناقصات والعقود التابعة للدولة على هذا الأمير أو ذاك رغبة في إرضائه.

لكن تحصيص السلطة ووهبها للجيل الثالث، لا يعني أن الماكنة التي تحركها وتديرها وتسيطر عليها تغيرت. إنها الماكنة السديرية بكل تأكيد. وشأن الثروة في هذا لا يختلف عن شأن المناصب السياسية.

التحصيص والتوافق

لكن هل سيؤدي هذا الى توافق وإجماع داخل العائلة؟ وما هي الإنعكاسات المترتبة على أداء الدولة وأجهزتها حين تحوّل الى إقطاعيّات لكلّ إبن أو لكلّ جناح؟

من المؤكد أن الصراع على السلطة لن ينتهي داخل العائلة المالكة؛ وهذه التسويات التي قرأنا عنها آنفاً إنما تمثّل الحدّ الأدنى من الإسترضاء، ومن المؤكد أن هناك أمراء ممتعضون وربما أميرات ممتعضات أيضاً على قسمة الضيزى هذه. ذلك أن تعيين واحد من الأبناء من الجيل الثالث لا يعني أنه مثّل إخوته الأشقاء وغير الأشقاء الآخرين؛ إنما القضية استرضاء للقلّة، وإلا فإن مناصب الدولة كلّها لا تكفي الأمراء، وإن كانت كافية، فهناك من سيتحدث عن عدم وجود عدالة داخل العائلة المالكة في توزيع الثروة والسلطة.

لطالما كانت قمة السلطة محدودة الإستيعاب للأفراد في كل الدنيا، فكيف بها سترضي أكثر من ٢٢ ألف أمير وأميرة؟ وأية ثروة تلك التي تستطيع أن تُشبع نهم هؤلاء؟ بل أي قوة موجودة على الأرض بما فيها القضاء يستطيع أن يخفف من وطأة وتجاوز هذا العدد الكبير من الأمراء؟

لقد هندس الجناح السديري تقسيم السلطة الى أشلاء، بناء على تجارب سابقة قام بها أبوهم وإخوانهم من قبل (ولكن بين الأخوة وحتى الأعمام). لكن الزمن تغيّر كثيراً داخل العائلة المالكة، وداخل المجتمع السعودي أو المسعود نفسه!

هذا الشعب هو الغائب الأكبر عن مشهد الخلافة وعن مشهد السلطة. كأن الشعب والأرض والثروات والمقدسات لعبة بين الأمراء، فلا صوت لغيرهم، ولا كلمة. هذا الشعب يتعاطى معه كقطيع يسوقه هذا الأمير أو ذاك. عليه واجب الطاعة والبيعة والخضوع لأولي الأمر، وليس له كلمة في الإختيار ولا في التفضيل ولا أدنى من ذلك. الخلافة باختصار شأن عائلي. ولكن هل نهب الدولة واستباحتها وتقسيمها لإقطاعات شأن عائلي هي ايضاً؟!

هي كذلك فعلاً، إلا أن يثبت الشعب أنه ليس قطيعاً لهذه العائلة المالكة المتوحشة والفاسدة.

وحتى مشايخ السلطة الذين يطنطون على رؤوس مستمعيهم بأن مفهوم (أولي الأمر) يشمل (العلماء والأمراء)! واضعين لأنفسهم منصباً أعلى يوازي آل سعود.. وإذا بهم كما في تعيين نايف وغيره، مجرد أدوات صغيرة، لا شغل لها سوى التطبيل وتقبيل رأس الأمراء والملوك، في حين يفترض أن يحدث العكس وأن يمثلوا الناس إن كانت هذه قناعتهم الدينية.

لم يكن هناك صوت لا للمشايخ ولا للمثقفين ولا لأي من أفراد الشعب فيما يجري؛ وكأن آل سعود قدرٌ تاريخي لا يمكن التخلّص منه؛ أو كأن الله سبحانه قد طوّق أعناق الشعب بأغلال العبودية ـ تعالى الله عن ذلك ـ بحيث يحكمه افراد العائلة المالكة واحداً بعد الآخر، ويتولون كل المناصب في كل زاوية وقرية ومدينة ومحافظة ومؤسسة وهيئة!

الربيع العربي لم يترك حجّة لأحد لأن يقبل بالوضع البائس الذي يعيشه. لن يتغيّر شيء ما لم يتغيّر الناس: (ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم). حين تتغيّر القاعدة، ينقلب الهرم، وتتغير الأحوال.

الخلافة بتعيين الملك للأقوى!

أثبت تعيين نايف أن هيئة البيعة ما هي إلا مؤسسة لا لزوم لها. وقد قتلها مؤسسها ـ الملك، وقبل أن تباشر أول أعمالها، حين قام بدلاً عنها بتعيين نايف نائباً ثانياً لرئيس مجلس الوزراء، ما عنى أنه سيكون ولي العهد القادم، وهو ما تمّ فعلاً.

لقد تدرّج اختيار منصب ولاية العهد، العرش فيما بعد، ضمن خيارات أربعة حتى الآن:

أن الملك يعيّن وليّ عهده، الأكبر سنّاً، كما فعل الملك عبدالعزيز مع ابنه الملك سعود، وهذا لم يلغ الصراع، وانتهى بعزل الملك وطرده من البلاد منفياً الى أن توفي في اليونان.

أن الأكبر سنّاً يحكم، بتوافق مع العائلة المالكة، ولكن مع عدم الإحتكام الى قاعدة السنّ دائماً، مثلما حصل للملك فيصل الذي كان الأكبر، وكان مرشح العائلة المالكة مقابل سعود؛ وأيضاً مثلما حصل لخالد الذي تجاوز شقيقه محمد برضا هذا الأخير، وكذلك تجاوز الملك فهد سعد وناصر ضمن الإجماع، وإن كان رغماً عنهما.

العودة الى قاعدة السنّ، مستندة الى القوة (الحرس الوطني) في حال تنصيب الملك عبدالله، مع تهميش للإجماع العائلي، أو بالأصح تهميش دور العائلة (أبناء الملك عبدالعزيز) في اختيار الملك من بينها. وفي نفس الوقت تجاوز الأكبر سنّاً مثلما حصل لسلطان (تجاوز مشعل) مع إرضاء الأخير بالمال.

الرجوع مجدداً الى قاعدة التعيين، أي أن الملك يعيّن وليّ عهده، دون اعتبار للسنّ، ومع أخذ الإعتبار للقوة على الأرض التي يمتلكها كلاً من المُعيِّن والمعيَّن، حين قام الملك عبدالله مؤخراً بتعيين الأمير نايف، خلافاً لرغبة أمراء كثيرين تمّ تجاوزهم وهم الأكبر سنّاً. وهنا لم يكن لهيئة البيعة المشكلة حديثاً (٢٠٠٦) أيّ دور في الإختيار وإنما في (البصم) و (الرضوخ) لرغبة الملك.

في المحصلة النهائية، فإن أرجحية السنّ ولكثرة كسرها وعدم التقيّد بها، صارت من الماضي.

وهيئة البيعة، لن يكون لها دور حقيقي، بعد اختبارها الأول، في اختيار أيّ ملك قادم.

لم يبق إلا تعيين الملك لولي عهده، تماماً مثلما كان النظام الأساسي يقول، تحت حجة الأصلح، قبل ان تحذف المادة لصالح هيئة البيعة الميّتة.

التعيين هو الوسيلة الأولى والأخيرة لولاية العهد، ولكن وفق قاعدة (الأقوى) بين الأمراء، وليس (الأصلح). أي وفق موازين القوى المادية على الأرض للأمراء.

هذا هو مستقبل الخلافة في السعودية.

وثيقة أمريكية:

آل سعود حزب سياسي وأعضاؤه يتصارعون

في وثيقة سرية من الرياض حملت رقم (RIYADH ٧٠٦٩٢) صادرة من السفارة الأميركية بالرياض، في ٢ مايو ٢٠٠٦، صنّفها المستشار السياسي ديفيد. هـ راندل، وحملت عنوان: (ولي العهد يدعم الملك في نزاعات العائلة).. وردت بعض تفاصيل الصراع الداخلي بين الأمراء على السلطة، وعلى الثروة أيضاً. ولأن موضوع الخلافة لازال ساخناً ويلقي بظلاله على الوضع السياسي الداخلية رأينا نشر هذه الوثيقة. النص فيما يلي:

موجز: آل سعود حزب سياسي بالإضافة إلى كونهم يشكلون عائلة، وكما هو الحال مع أي حزب سياسي هناك دائما صراعات داخلية ونزاعات سياسية. خلافات الأسرة الحاكمة حاليا تتركز على دور الأقدمية في الخلافة، والسياسة تجاه إسرائيل، وخفض التعويض الملكي. ومن المعروف أن التوتر كان قائما بين الأمير عبد الله بن عبد العزيز والأمير سلطان، عندما كانا على التوالي وليا للعهد ونائبا ثانياً لرئيس مجلس الوزراء، والآن بعد أن أصبح عبد الله ملكاً وسلطان ولي للعهد، فإنهما مثل أي رقم ثنائي متميز حيث الوقوف بصراحة وراء رئيسه. نهاية الموجز

قانون الخلافة الجديد أوجد فائزين وخاسرين، وقد أصبحت الجدارة بدلا من العمر عاملاً أساسياً في انتخاب الملك الجديد، معظم الأمراء قبلوا هذا التغيير... فقط عبد الرحمن بن عبد العزيز التالي في العمر بعد ولي العهد سلطان كان صريحاً في احتجاجاته حول الترتيبات الجديدة. وغالباً ما يكون سلمان بن عبد العزيز حكماً في النزعات العائلية، ووفقاً لجهة اتصال موثوقة وجيدة الوصول إلى دوائر الأسرة الحاكمة، فإن سلمان قال لأخيه: (اخرس وعد إلى العمل)، في محادثة صريحة مع عبد الرحمن مؤخراً.

وقد التقطنا أيضاً روايات مباشرة من داخل الأسرة لتوتر بشأن السياسة تجاه إسرائيل، فبعض الأمراء وخصوصاً مستشار الأمن القومي بندر بن سلطان، يدفعون ـ كما ذكر ـ باتجاه المزيد من الاتصال مع اسرائيل، فبندر يرى ايران الآن كتهديد أكبر من اسرائيل، وأمراء آخرون يعتقدون أن المخاوف التقليدية للمملكة العربية السعودية مع الأماكن الاسلامية المقدسة ومحنة الفلسطينيين يجب أن تبقى بالغة.

إلى حد بعيد، فإن مصدر السخط الأكثر انتشاراً في العائلة الحاكمة هو تقليص الملك لامتيازاتهم، فقد أخبر الملك عبد الله اخوته بأن عمره فوق ٨٠ سنة ولا يتمنى الاقتراب من

> **آل سعود حزب سياسي ويشكلون عائلة، وكما هو الحال مع أي حزب سياسي هناك دائما صراعات داخلية ونزاعات سياسية على الخلافة والثروة**

يوم الحساب (وعبء الفساد على كتفي). وتذكر ثلاثة مصادر جيدة الاطلاع أن خدمة الهاتف المجانية لآلاف الأمراء والأميرات قد فصلت. وبالمثل، ألغيت حجوزات الأجنحة الفندقية التي تدفعها الحكومة والتي يحتفظ بها بعض الأمراء على مدار السنة في فنادق جدة، وتقلصت قدرة أفراد الأسرة المالكة لطلب تذاكر مجانية غير محدودة على الخطوط السعودية، فغالبا تُطلب تذاكر أكثر من المحتاج، وتباع التذاكر الزائدة بواسطة الأمراء للحصول على النقد، ولدينا وصف مباشر بأن زوجة وزير الداخلية نايف حاولت الصعود على متن رحلة سعودية مع ١٢ مرافقاً متوقعين السفر مجاناً، ولغضبها قيل لها أن القواعد الجديدة من الملك تسمح فقط بأخذ اثنين من الضيوف مجاناً، وقيل أن القاعدة الجديدة أزعجت الأمير مشعل بن ماجد بن عبد العزيز كثيراً لدرجة أنه قاد السيارة من جدة إلى الرياض لإظهار انزعاجه. أيضاً هناك ممارسة أخرى جديدة وهي اعطاء الأمراء مخالفة مرور، فمرة أخرى لدينا وصف مباشر للأمير يوسف بن سعود بن عبد العزيز الذي أوقف واعطي مخالفة سرعة حتى عندما أدركت الشرطة أنه ابن ملك سابق. المتصل الذي رأى هذا قال أنه كان مندهشاً لرؤية ابن ملك تطلب منه الشرطة الخروج من سيارته ورؤية رخصة قيادته.

وفي حين أن الحد من الهواتف والرحلات قد يكون مزعجاً، فإن الملك عبد الله قطع أيضاً بعض استحقاقات العائلة الحاكمة الأكثر خطورة، فهناك ستة ملايين عامل في المملكة يحتاجون جميعاً إلى تأشيرات، والأمراء منذ فترة طويلة يحصلون على تأشيرات العمل، وعندما يريد صاحب العمل استقدام عمالة فلا بد له أن يتقدم إلى وزارات الداخلية والعمل للحصول على تصاريح، ويتم منح بعض الأمراء ورجال الحاشية البارزون (كتلة تأشيرات) والتي تشبه السندات لحاملها حيث يمكن صرفها من قبل أي شخص يحملها، وهذه التأشيرات عادة ما تكون للعمال ذوي المهارات المنخفضة، ولفترة طويلة ظل في الامكان الحصول عليها من الأمراء مقابل ثمن. وقد أدت السعودة إلى صعوبة قياسية في الحصول على تأشيرات للعمال الأجانب، وبالتالي أدى إلى ارتفاع سعر التأشيرات في السوق.. ومع ذلك وفي محاولة لسعودة سوق العمل تمت سيطرة الملك عبد الله على بعض أنشطة اصدار تأشيرات الدخول مما خفض دخل العديد من الأمراء الصغار.

الأرض هي أهم مصدر للدخل بالنسبة للكثير من الأمراء، والحكومة وخصوصاً

```
S E C R E T RIYADH 000296

SIPDIS

SIPDIS

NEA FOR GORDON GRAY AND SCOTT CARPENTER
POLICY PLANNING STAFF FOR KRASNER
NSC FOR MIKE DORNAN AND NICK RAMCHAND

E.O. 12958: DECL: 02/03/2012
TAGS: PGOV SA
SUBJECT: CROWN PRINCE SULTAN BACKS THE KING IN FAMILY
DISPUTES

REF: REF 06 8912

Classified By: Political Counselor David H. Rundell Reasons
1.4 (b) and (d).

¶1. (S) Summary: The Al Saud are a political party as well
as a family. As with any political party, there are always
internal rivalries and policy disputes. Ruling family
disputes currently center on the role of seniority in
succession, policy towards Israel, and cuts in royal
compensation. It is well known that tension existed between
Prince Abdullah bin Abudulaziz and Prince Sultan bin
Abdulaziz when they were Crown Prince and Second Deputy Prime
Minister respectively. Now that Abdullah has become King,
Crown Prince Sultan, like any good number two, is standing
squarely behind his boss. End Summary.
```

وزارتا المالية والشؤون البلدية والقروية، نقلتا في كثير من الأحيان ملكية الأراضي العامة إلى الأمـراء، وأدى بيعها بـدوره إلى أربـاح ضخمة لمطوري العقارات... وخلال الأسابيع الأخــيرة مـن حيـاة المـلـك فهد كــان هناك

مصدر السخط الأكبر بين الأمراء سببه تقليص الملك لامتيازاتهم، والملك قال لإخوته أنه لا يتمنى أن يأتي يوم الحساب (وعبء الفساد على كتفي)

العديد من التقارير لتسابق العديد من الأمراء وكبار الحاشية لوضع اللمسات الأخيرة لمنح الأراضي قبل أن يتغير النظام. وفي اتصال مع منفذ مباشر إلى معلومات التقارير يذكر أن الأمير بندر بن سلطان بن عبد العزيز والأمير عبد العزيز بن فهد بن عبد العزيز كونا مئات الملايين من الدولارات عندما باعا الأراضي لمدينة الملك عبد العزيز الاقتصادية الجديدة لشركة دبي للتطوير العقاري (إعمار)، ويضيف مصدر آخر أقل وصولاً إلى المعلومات أسماء متعب بن عبد الله بن عبد العزيز وعمرو الدباغ محافظ الهيئة السعودية العامة للاستثمار إلى أولئك الذين استفادوا من صفقة اعمار للتطوير العقاري في المملكة العربية السعودية.

وفي الشهور الأخيرة تصاعدت التوترات في العائلة الحاكمة على ما يقال مع وزير الداخلية الأمير نايف وحاكم الرياض الأمير سلمان، فقد سعيا إلى مواجهة الملك علنا لخفضه المستحقات الملكية، ووفقا لمصادر راسخة الوصول إلى هذه المعلومات فإن ولي العهد سلطان وقف إلى جانب الملك في هذا الشجار، وعلى ما يذكر فإن سلطان أبلغ اخوته أن تحدي الملك (خط أحمر) لا ينبغي تجاوزه، ونصحهم بأن استقرار وأمن الأسر الحاكمة هو أهـم الأهـداف، وأضاف (إذا تحدينا عبد الله فإلى أين ستكون النهاية)، وحذر اخوته أن المملكة تواجه مخاطر جدية في العراق وإيـران، وانـه لا وقت للانقسام الداخلي، ... وقد نفذت حجج ولي العهد اليوم نظراً لقوة شخصيته ومكانته كرئيس لأشقائه الذي يعرفون بالسديريين السبعة. اتصالاتنا ذهبت إلى القول إنه في حين أن الملك عبد الله (حكيم وكريم) فإن سلطان (ذكي وحصيف)، وأضاف أن الشعبية العظيمة للملك مع الشعب، نتجت جزئيا لقطع الاستحقاقات الملكية، وجعلت من غير الحكمة معارضته.

كدليل آخر على دعم سلطان لعبد الله، ذكر هذا المصدر أنه ذهب مؤخراً بنفسه لرؤية ولي العهد سلطان لوضع اللمسات الأخيرة على نقل أرض كان الأمير قد وعد بها، وأشار إلى أن ولي العهد سلطان كانت لديه السلطة لوضع اللمسات الأخيرة على الاتفاق إلا أن الملك كان قد طلب التوقف عن مثل هذه التحويلات، وطلب سلطان تأخير النقل، وقـال لـه انه يرغب في اظهار دعمه للملك. وذكر اتصال آخر أن الأمير تركي بن ناصر بن عبد العزيز ذهب لرؤية ولي العهد بعد أن رفض الملك طلبه للحصول على منحة أرض، فأخبر ولي العهد تركي أن الملك قدم رؤية واضحة وأن ولي العهد ينبغي أن يدعم الملك. ويقول ولي العهد نفس الشيء في الأماكن العامة، فعندما سئل حول التغييرات الوزارية المتوقعة، أخبر الصحافة بـأن التغييرات مـن صلاحيات الملك والملك وحده. أخيراً فإنه كثيرا ما يرى الملك وولي العهد معاً في الأماكن العامة مع عدم وجود دليل واضح على التوتر أو العداء بينهما، وكان ذلك صحيحاً أثناء زيارتهما نجران لمدة يومين، وأكثر عندما ذهبا مؤخراً إلى جدة للترحيب بعبد المجيد حاكم مكة بعد عودته من علاجه الطبي في أوروبا.

تعليق: معظم الأسـر الحاكمة في شبه الجـزيـرة العربية لها تـواريـخ مـن الـنزاع الداخلي، آل الصباح في الكويت، آل نهيان في أبو ظبي، آل ثاني في قطر وآل القاسمي في الشارقة، جميعا عزلوا أو قتلوا بعضهم البعض مرة أو أخرى. وفي أوائل القرن العشرين واجه الملك عبد العزيز معارضة قوية من أبناء عمومته من فـرع سعود الكبير في الأسـرة الحاكمة، وتقريباً مزق عزل الأمـير فيصل لأخيه الملك سعود عام ١٩٦٢ المملكة أجزاء، والنزاع داخل الأسرة كان وسيبقى أكبر خطر محتمل على استقرار نظام الحكم في المملكة العربية السعودية. الأمير سلطان يعترف بهذا، وقد أكدت العديد من الاتصالات أن ولي العهد سلطان يدعم مصلحة وحدة الأسرة على راحته المستقبلية الخاصة، أو على الأقل لا يعارض بشكل مفتوح جهود الملك عبد الله المختلفة للإصلاح.

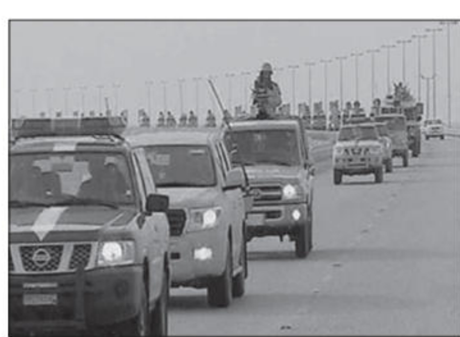
قصف إعلامي متبادل

سقوط تفاهم سعودي/ إيراني بشأن البحرين

عبد الوهاب فقي

في بداية سبتمبر الماضي، رشحت معلومات تفيد باتصالات سعودية ـ إيرانية قيل أنها كانت تستهدف إيجاد مخرج للوضع السياسي المتأزم في البحرين، في ظلّ ثورة عجزت قوى الأمن البحرينية مدعومة بالجيش السعودي عن انهائها. تعززت تلك المعلومات بعد الإعلان عن لقاء بين وزيري خارجية البحرين وإيران على هامش اجتماعات الأمم المتحدة في نيويورك في سبتمبر الماضي، واتفاقهما ـ حسب وزير خارجية البحرين ـ على اتخاذ بعض الخطوات التي تعزز بناء الثقة بين الجانبين. وصرح الوزير البحريني بعدها لجريدة الشرق الأوسط السعودية في ٢٠١١/٩/٢٩ بكلام إيجابي فقال: (أستطيع القول إن هذا الاجتماع كان فاتحة خير، وتصوير هذا الاجتماع ليراه الناس في البحرين وإيران سيكون له أثر إيجابي في تهدئة الأمور في كل مكان). وأضاف الوزير بما يفيد أن البحرين طلبت من إيران تقييد تغطيتها الموجهة للبحرين، مضيفاً أن تحسين العلاقة مع ايران يؤثر على الوضع الداخلي البحريني: (أي انفراجة حقيقية مع إيران ستؤثر إيجابا، الوضع لدينا أصبح حساساً؛ ومن ناحية مذهبية، وهذا أمر تعانيه كل المنطقة، لم تخلقه البحرين ولم يولد في البحرين. وأي انفراجة ستعطي ثقة لأبناء البحرين، لو رأوا البحرين وقوة رئيسية مثل إيران يتكلمان بجدية حول استقرار المنطقة فسيعلمون أننا لسنا في حالة عداء، لأن حالة العداء هي التي تؤدي إلى ما لا يحمد عقباه داخليا أو بين الدول).

لكن انقلب كلّ شيء رأساً على عقب بعد إعلان الولايات المتحدة الأميركية عن محاولة إيرانية مزعومة لاغتيال السفير السعودي في واشنطن عادل الجبير، وذلك في ١١ اكتوبر الماضي. فهل كان من بين أهداف الزعم الأميركي تخريب أية تفاهمات إقليمية إيرانية سعودية، سواء كانت بشأن البحرين أو غيرها من القضايا؟ أم هل وجدت الرياض في الإعلان الأمريكي فرصة للتراجع عن التفاهمات على أمل إيجاد حلّ يستأصل المشكلة من جذورها (الإطاحة بنظام الحكم في إيران)؟ أم أن الجناح المتشدد في العائلة المالكة، برئاسة الأمير نايف ولي العهد ووزير الداخلية، أعلن عن فشل التفاهمات بمجرد أن أعلنت واشنطن عن محاولة الإغتيال المزعومة؟



قوات سعودية تتجه الى البحرين

بديهي أن أية تفاهمات في المنطقة بشأن الموضوع البحريني، الذي أصبح شأناً إقليمياً ودولياً بامتياز، لا يمكن أن يتمّ إلاّ عبر محددين رئيسين: الأول، ما يعتبره السعوديون خطاً أحمر ويتعلق ببقاء العائلة الخليفية الحاكمة على رأس السلطة؛ والثاني: ما له علاقة بالأكثرية الشعبية التي تطالب بمشاركة حقيقية عادلة وديمقراطية في السلطة وصناعة القرار. لن يكون هناك مخرج سياسي في البحرين بدون هذا الأمر، وهو ما يدركه الغربيون حلفاء السعودية والبحرين، حتى ولو رأت السعودية والجناح الأكثر تشدداً في سلطة آل خليفة بأن الحل الأمني والعسكري يمكن أن يعدّل موازين القوى، أو يلغي حقوق المواطنين البحرينيين في حياة سياسية ديمقراطية.

لقد بلغ الحل الأمني/ العسكري في البحرين نهايته؛ بمعنى أن ما يمكن لذلك الحل أن يقدّمه أثبت أنه محدود، حيث لاتزال التظاهرات والإعتصامات والمواجهات في الشارع قائمة، ولا يوجد في الأفق أنها ستنخفض أو تهدأ؛ بل على العكس من ذلك تماماً. هناك ما يشبه توازن قوى في الشارع بين السلطة والمعارضة الشعبية، ما يفتح الأفق الى حل سياسي، أو الى تصعيد قد يصل الى عسكرة الثورة في البحرين، التي يجمع المراقبون أنها ـ حتى الآن ـ الأكثر سلمية بين كل الثورات العربية.

فشل التفاهمات الإيرانية السعودية، انعكس على الإعلام والتصريحات، بما فيها تصريحات وزير الخارجية البحريني الذي طالب بدعم عربي لمواجهة إيران، فيما ردّت إيران على لسان رئيس الأركان بأن الوقت لم يفت لانتصار الثورتين في اليمن والبحرين!

من يعوّق التوصل الى حلول سياسية؟

هناك إجماع غربي، أي بين حلفاء

النظامين الخليفي والسعودي، بأن السعودية تقف في طريق أية حلّ سياسي للأزمة في البحرين، ما لم يتضمن ذلك الحل تخفيضاً غير مقبول لمطالب المواطنين الثائرين. إن سقف السعودية للحل محدود، وهي لا تريد أن يقدم النظام الخليفي على أية تنازلات سياسية حقيقية، وأن تجرب القمع المتصاعد بديلاً. والحكومة السعودية تخشى أيضاً من أن أية حلول سياسية حقيقية ستؤثر عليها داخلياً، كما على المنطقة الخليجية كلّها، وكلّما كان النظام السياسي موغلاً في التخلف والتراجع، كلّما كان تأثره بحل حقيقي في البحرين أكبر. ومعلوم أن السعودية هي الأكثر تخلفاً في نظامها السياسي، حتى في أولياته، كانتخاب مجلس للشورى، او انتخاب المجالس البلدية، ووجود دستور، وشيء من الحرية للمجتمع المدني تأسيساً وممارسة.

الغربيون وجدوا أن الخيار السعودي الأمني/ العسكري والذي بدا عدم تحبيذه في مواجهة الثورة يمكن أن ينجح الى حدود، أو يساهم - بعد تكسير الثورة - في تخفيض سقف المطالب، وبالتالي قد ينتج حلاً سياسياً. لهذا تراجعوا - الأميركيون خاصة - عن مواقفهم المعارضة تجاه التدخل العسكري السعودي، الذي دعم الجناح الأكثر تشدداً في العائلة الخليفية (جناح رئيس الوزراء)؛ وقد قامت السعودية في الشهرين الأولين لذلك التدخل بتكسير المتظاهرين وإعادتهم الى مدنهم وقراهم وأحيائهم، مع حملة قتل واعتقالات وفصل من الوظائف غير مسبوقة في أية دولة نعرفها (الحديث عن النسبة المئوية).

لكن الشارع البحريني، استجمع قواه من جديد، وأخذ يتمدد في نشاطاته، برغم القمع، وها هو اليوم في وضع الهجوم بعد أن كان في وضع الدفاع. لذلك قلنا بأن الحل الأمني/ العسكري بلغ منتهاه، وأنه لا يمكن فرض هذا الحل على شعب قرر النزول الى الشارع ودفع ثمن التغيير.

امريكا ودول الاتحاد الأوربي اهتمت بمرحلة ما بعد الحلّ الأمني، وأملت أن يقوم ولي عهد البحرين بتنظيف أوساخ عمّه رئيس الوزراء، وإعادة الحوار المقطوع مع المعارضة (الوفاق تحديداً). لكن خطوات ولي العهد كما الملك، اللذان أرادا هما أيضاً تهشيم المعارضة لتأتي منحنية في مطالبها، لم تنجح، بسبب الرفض السعودي. السعودية لا تقدم للبحرين حلاً أمنياً فحسب، بل غطاءً سياسياً، وتمويلاً ضخماً يعينها في وضعها البائس اليوم.

لهذا فإن نسبة كبيرة من القرار السياسي انتقل من المنامة الى الرياض، خاصة وأن من يمسك الأوضاع في البحرين هو الجناح الأكثر تشدداً وموالاة لنظام آل سعود.

جناح ملك البحرين وابنه ولي العهد، دعا الى حوار وطني، وكان مجرد غطاء لكي يتفاوض مع المعارضة، لكن رئيس الوزراء خليفة بن سلمان، أحبطه، حين جمع المئات من المدعوين وفتح عشرات الموضوعات للنقاش، وذلك لتضييع صوت المعارضة، وتغييب النقاش في الموضوع السياسي، الأمر الذي أدى الى انسحاب الوفاق، وفشل الحوار.

وفي موضوع تشكيل لجنة تقصي الحقائق (ما عرف باسم لجنة بسيوني) التي تستهدف إيجاد مخرج للنظام حقوقياً وسياسياً، فإن رئيس الوزراء خليفة يقف لها بالمرصاد، وبالتالي فإن آمال الدول الغربية، ومنظمات حقوق الإنسان العالمية من التقرير قد لا تتحقق من ذلك.

السعودية تمسك من الناحية الفعلية بمفتاح الحل السياسي في البحرين، ولا يمكن التوصل الى حلٍ بدون أمرين:

الأول، تحجيم الدور السعودي في الشأن البحريني، وهذا لا يتم بدون إضعاف الأداة السعودية التي وسّعت من ذلك الدور، وهي وجود قوات سعودية في الأراضي البحرينية.

والثاني، إضعاف الجناح الأكثر تشدداً في الأسرة الخليفية، وإحالة رئيس الوزراء خليفة على التقاعد. ذلك أن أيّ حلٍ سياسي لا يمكن أن ينجح وهو في السلطة، لأن الحل السياسي سيكون بلا أدنى شك على حساب سلطاته ودوره.

لقد جرّب الغربيون توجيه بعض الضغط على ملك البحرين وولي عهده، ولكن هذا الجناح رغم تشدده، فإنه لا يمسك بزمام السلطة فعلياً، خاصة ولي العهد الذي جرى



الثورة في البحرين

تهميشه منذ اليوم الأول لدخول القوات السعودية الى البحرين. كما أن الضغط على رئيس الوزراء الشيخ خليفة بن سلمان، لم يؤتِ ثماره، لأنه يتحصّن بالموقف والدعم السعوديين.

لهذا، بدأ الغربيون بتوجيه الضغط ولو قليلاً على السعودية، وليس لديهم مخرجٍ غير ذلك. وقد دعا الإتحاد الأوروبي مؤخراً السعودية الى سحب قواتها من البحرين، وهناك نقد واسع بين المنظمات الحقوقية الدولية، وفي مفوضية حقوق الإنسان التابعة للأمم المتحدة، للدور السعودي التخريبي والمعوق للحلول السياسية للمعضلة البحرينية.

لقد تواطأ الجناح الأكثر تشدداً في السلطة في كل من الرياض (الأمير نايف/ وزير الداخلية وولي العهد) والبحرين (رئيس الوزراء الشيخ خليفة وكذلك وزير دفاعه) لفرض حلول بالقوة العسكرية والأمنية على الأكثرية السكانية في البحرين لا تستطيع أية قوة أن تفرضها عليه. وستثبت الأيام بأن مصير تلك الحلول ستنتهي الى الفشل، رغم كل الدعم الخارجي الذي يتحصل عليه آل خليفة من نظرائهم السعوديين.

تحضيرات غربية:

مواجهة بين إيران والسعودية

ناصر عنقاوي

هي النتيجة التي يريد الغرب أن يوصل إليها الطرفين في نهاية المطاف، حرب طائفية يكون قطباها إيران والسعودية.

كل ما نسمع ونقرأ منذ خمس سنوات على الأقل هو التحضير لتلك المواجهة: الملف النووي الإيراني، الإنسحاب الأميركي من العراق وملء إيران الفراغ، حرب المحاور في لبنان وفلسطين والمنطقة عموماً، وصولاً الى المؤامرة المزعومة باغتيال السفير السعودي في واشنطن عادل الجبير.

وثائق ويكيليكس كشفت عن جانب من حملة التحضير والتحريض على تلك المواجهة، ونقلت عن الملك عبد الله مطالبته الإدارة الأميركية بقطع رأس الأفعى، في إشارة إلى إيران.

السعودية تنظر الى الحرب على إيران بأنها خيار مر، ولكن لابد منه، لأن بعد تفجّر ربيع العرب وتساقط الحلفاء، يشعر آل سعود بأنهم في محيط مضطرب، ولابد من تغيير الواقع. لاشك أن الإدارة الأميركية تلعب في تصريحاتها على المخاوف السعودية، خصوصاً حين تقول بأن الخطر المحدق بالعالم يأتي من إيران وليس القاعدة، إنما هي تحاول التناغم مع الغرائزية السعودية..

يدرك آل سعود بأنهم ليسوا بالقوة الكافية التي تمكّنهم من الصمود في وجه القوة العسكرية الإيرانية، حتى مع امتلاكهم لأسلحة متطوّرة جوية وبحرية وبريّة، فالحرب لا تحسم بالعتاد وحده، فغياب عقيدة عسكرية راسخة لدى القوات المسلّحة والجيش تجعل من الصعب على آل سعود الوثوق بقدرتهم على الدخول في حرب لا يملكون الحد الأدنى من شروط إنتصارهم، وقد جرّبوا في اليمن مع الحوثيين، وخرجوا من الحرب بنتائج صادمة ومحبطة.

العراق.. سرّ المواجهة مع ايران

بعد شهر من وصول الملك عبد الله العرش في أغسطس ٢٠٠٥، أطلق وزير الخارجية الأمير سعود الفيصل من واشنطن تصريحاً لافتاً (لقد خرجت إيران رابحة من العملية الأميركية في العراق؛ لأنّ الولايات المتحدة لم تكن تعرف ما هو اليوم التالي لعمليتها العسكرية هناك). كانت تلك بداية كسر الدبلوماسية السعودية الجمود الذي طال ثلاث سنوات، حتى أن نائب الرئيس السوري فاروق الشرع اعتبر أن الدبلوماسية السعودية مصابة بالشلل. لم يكن الربح الإيراني في العراق هديّة أميركية بحال، فقد كانت الدعوات تنطلق من كل أرجاء العراق، ومن القادة السياسيين على وجه الخصوص بضرورة عودة الدول العربية الى العراق الجديد.

كانت السعودية من بين دول أخرى عديدة ترفض كل مقترح بتطبيع العلاقات مع العراق، بحجة أنه محكوم بالشيعة، رغم أنهم يمثلون الأغلبية السكانية فيه. وكان الملك عبد الله يبوح بتصريحات صادمة لكل الوفود العراقية التي كانت تزور المملكة، من قبيل أنه سيدفع ضعف ما أنفقته دولته في حرب العراق وايران من أجل إسقاط حكومة المالكي، وأنه لن يسمح ببقاء حكم شيعي في العراق، وتصريحات أخرى مماثلة حول دخول ملايين الجنود الايرانيين الى الأراضي العراقية، وأن بعضها صار على الحدود مع المملكة من أجل شن الحرب عليها.

الآن، ومع بدء تنفيذ مراحل إنسحاب القوات

السعودية تنظر الى الحرب على إيران كخيار مر، ولكن لابد منه، فتساقط الحلفاء في ربيع العرب يجعل آل سعود يعيشون في محيط مضطرب

الأميركية من العراق، وتسليم القواعد العسكرية الكبرى (بما فيها قاعدة بلد ثاني أكبر قاعدة عسكرية أميركية في العالم) الى الدولة العراقية، تصاعدت المخاوف السعودية، وتبعاً لها الخليجية، بتحريض أميركي ـ إسرائيلي من وقوع العراق في مجال النفوذ الإيراني.

في المشهد العام للمنطقة، كان مشروع الشرق الأوسط الكبير الذي سقط في حرب صيف ٢٠٠٦ على لبنان، نذير شؤم بالنسبة لمعكسر الإعتدال، الذي تأسّس في الأصل لمواجهة إيران وحلفائها، ولكن هزيمة إسرائيل في الحرب أطاحت المشروع برمته. وكان الإعتقاد بأن العراق سيكون منطلقاً لتغيير خارطة الشرق الأوسط، ولكن لم يحصل أيضاً بفعل الخسائر التي تكبّدتها القوات الأميركية ليس من تنظيم القاعدة وفلول النظام القديم التي انشغلت بعمليات التفجير في الشوارع العامة، والمدارس، والأسواق، ورياض الأطفال، إلى اغتيال رجال الأمن والشرطة والقادة السياسيين العراقيين، ولكن من جماعات أخرى مثل التيار الصدري، وعصائب الحق، وكتائب حزب الله وغيرها، وكذلك فشل الناتو والقوات الأميركية على وجه الخصوص في السيطرة التامة على أفغانستان، حيث اضطرت في نهاية المطاف للإعتراف بقوّة حركة طالبان وضرورة التفاوض معها..

كان واضحاً، أن العراق سيكون ساحة حرب أميركية ـ إيرانية، بغطاء عربي واسرائيلي، ولكن يدرك الأميركيون تماماً بأن حرباً في العراق لن تكون سهلة بالنسبة لهم، لوجود أعداد كبيرة من قواتهم على الأراضي العراقية وستكون في مرمى النيران الإيرانية.

كانت السعودية ودول خليجية أخرى تضغط من أجل تمديد بقاء القوات الأميركية في العراق، ولكن تعهّد الرئيس الأميركي باراك أوباما بسحب القوات جعل من الصعب تأخير القرار، خصوصاً وأن أوباما يأمل في كسب جولة ثانية في الإنتخابات الرئاسية الأميركية، التي ستجري العام القادم.

لم تفلح الضغوط السعودية والخليجية في إقناع إدارة أوباما بإبقاء القوات الأميركية في العراق، وكان البديل هو التالي:

ـ نشر قوات أميركية في عدد من دول الخليج في إطار تفعيل اتفاقيات الدفاع المشترك.

ـ زيادة وتيرة سباق التسلح في المنطقة، تحت عنوان مواجهة الأخطار الإيرانية.

في السياق نفسه، جاء التصعيد السياسي والإعلامي الأميركي، وتبعاً له السعودي والخليجي بالتلويح بخيار الحرب على إيران، على خلفية برنامجها النووي من جهة، وتكثيف الضغوط عليها في الملف السوري، وتأهيل مناخ عام سياسي ونفسي لتغييرات كبرى في المنطقة (إحياء مشاريع تقسيم العراق، وسورية، واليمن، والسودان..). هل كان الترحيب الأميركي بوصول الإسلاميين الى سدّة الحكم في مصر وتونس وليبيا بريئاً؟ وهل كان الانفتاح السعودي على الأزهر بريئاً هو الآخر؟ هل لكل ذلك علاقة باستعدادات الحرب؟ وهل للحرب

علاقة بفك العزلة التي تعيشها الدولة العبرية، وحل الأزمة المالية الأميركية والغربية؟

لا شك كل المعطيات تفيد بأن التعاون السعودي الأميركي قد بلغ ذروته في ربيع العرب، وإن محاولات إحتواء الثورة في اليمن والبحرين ومضاعفة التحريض على الإحتجاجات في سورية يدخل في سياق تلك الإستعدادات.

تخشى الولايات المتحدة وحلفاؤها الصغار بمن فيهم آل سعود بأن كل التغييرات التي جرت في المنطقة تصب في صالح إيران، وأن الحل هو الدخول في حرب معها، من أجل إعادة بناء "المركزية السعودية" في الشرق الأوسط التي انفردت بها منذ رحيل الزعيم جمال عبد الناصر، وجاءت الثورة الإيرانية لتحدث زعزعة عنيفة لموقع السعودية ونموذجها الديني، الذي أطلق عليه سيد قطب (الإسلام الأميركي).

كل المحاولات السعودية والأميركية للحد من وقف المد الإيراني في عموم المنطقة باءت بالفشل، بفعل عوامل عديدة من بينها غياب الرؤية الإستراتيجية والمشروع لدى آل سعود، فهم كمن يريد هدم البناء فحسب، وكان اصطفافهم الى جانب الكيان الاسرائيلي منذ مبادرة الملك عبد الله في مارس ٢٠٠٢ (ولي العهد حينذاك)، ثم في حرب صيف ٢٠٠٦ على لبنان، وحرب خريف ٢٠٠٨ على قطاع غزة، أفقدهم قاعدة شعبية عريضة، ومنحت إيران صدقية أكبر لوقوفها الى جانب حركات المقاومة في لبنان وفلسطين.

حاولت السعودية أن تعوّض عن سقوط حليف لها في ثورة شعبية عارمة في ٢٥ يناير من هذا العام (٢٠١١)، ودخلت في ترتيبات عاجلة مع واشنطن وأنقرة على إدارة ملفات الثورات العربية، ففي اليمن قدّمت مبادرة لضمان عدم خروج السلطة من حلفائها الى القوى الشعبية الثائرة، والممثلة للأغلبية الساحقة من الشعب اليمني، وفي البحرين قامت بإرسال قواتها لحفظ نظام آل خليفة، وفي ليبيا قدّمت الدعم المالي والمعنوي والسياسي لقوات الناتو، وفي سوريا أوكلت مهمة تسليح وتقديم المعونات المادية والعسكرية للمشايخ وبعض السماسرة من إعلاميين وتجّار.

في سياق موازٍ، دخل رئيس الوزراء التركي رجب طيب أردوغان إلى الحلبة لاستثمار رصيده المعنوي والسياسي الذي حصل عليه بفعل موقفه من الحرب على غزة، فسمح للولايات المتحدة بنصب درعها الصاروخي على الأراضي التركية، بعد أن رفضت دول عديدة في العالم المشروع، كما بدأ أردوغان بالتواصل مع جماعات الإخوان المسلمين في مصر، وغزة، وتونس، وليبيا، وحتى اليمن، من أجل استعارة نموذج (حزب العدالة والتنمية) المتصالح مع الغرب والولايات المتحدة على وجه الخصوص. وأيضاً، الإنقلاب المفاجيء في الموقف التركي من الإحتجاجات في سورية، إلى الحد الذي جعل من تركيا منطلقاً لمشروع التدخل الأجنبي في سورية، عن طريق تنضيج مبرّرات التدخل بإقامة معسكر للاجئين السوريين داخل الحدود التركية، وتشجيع الأهالي في بعض المناطق الحدودية السورية على النزوح، من أجل بلوغ العدد الكافي الذي يسمح بإقامة منطقة عازلة وحظر جوي ثم تدخّل عسكري خارجي بحجة حماية المدنيين.

هل لكل ذلك صلة بالإستعدادات للمواجهة المنتظرة مع إيران؟ بكل تأكيد، فهناك تحوّلات يراد حصولها من أجل تأهيل المشهد الإقليمي كيما يكون مستعداً لحرب طاحنة، تمنع مناطق محدّدة من الإنتفاض على قادة الحروب. ركوب الولايات المتحدة الربيع العربي وتشجيع الإصلاحات الديمقراطية في عموم المنطقة العربية (وآخرها البحرين والسعودية)، ودفع الحركات السياسية والاجتماعية ذات الأحجام الشعبية الوازنة لاستلام السلطة (بما فيها الأحزاب الإسلامية العريقة) يعني أن هناك تحوّلات داخلية كبرى تجري وتغيّر وجه المنطقة، ولكن لا ريب أنها تحوّلات غير بريئة.

بناء الأدلة الأميركية والسعودية ضد إيران في موضوعات عديدة (عسكرة النشاط النووي، التدخل في شؤون المنطقة، اغتيال رفيق الحريري، التخطيط لاغتيال السفير السعودي في واشنطن عادل الجبير، شبكات التجسس في الكويت وربما في أماكن أخرى)، لن تتوقف، وستتواصل الإتهامات لإيران في سياق تأهيل بيئة الحرب عليها، أو على الأقل التلويح والتهويل بها.

رواية التخطيط لاغتيال الجبير خرجت باهتة ومتهافتة، ويعكس ذلك شيخوخة المخطّطين الأميركيين في معرفة طريقة التفكير الإيرانية التي تتناسب مع فكرة التخطيط لاغتيال الجبير داخل الأراضي الإيرانية، فضلاً عن كون فكرة الإغتيال هي واردة في العقل الإيراني. وجهة نظر تقول بأن الرواية الأميركية لها غرض محدد، وهي محاولة أميركية إستباقية، ليس فقط لحسم تردد سعودي كبير في الإنضمام إلى الجهد التركي في إدارة الملف السوري، بعيداً عن مبادرة الجامعة العربية التي أيدتها السعودية، ولا تنظر إليها واشنطن وأنقرة بارتياح، بل لتثبيت كتفين إيرانيين، مع حشر في الزاوية الضيقة.

لم تفلح الضغوط السعودية والخليجية بإقناع أوباما ببقاء قواته في العراق، والبديل: نشرها في الخليج، وزيادة وتيرة التسلّح، والتلويح بخيار الحرب

كل ذلك من أجل منع طهران من أية فاعلية، قبيل وأثناء إجراء تركي مرتقب ما حيال سوريا، من خلال رؤية أميركية تفيد بأنّ حسم الموضوع السوري سريعاً (أو من خلال وضعه على سكة ما مرضية لواشنطن وأنقرة) هو الذي يؤدي إلى إنتاج توازنات تجعل إتمام الانسحاب الأميركي من العراق، في اليوم الأخير من العام، آمناً أميركياً، من خلال تغيّرات سورية سيكون لها انعكاسات كبرى في طهران، وبالتالي في بغداد؛ إذ يبدو أنّ العراق لا يزال هو (موضوع المواضيع)، كما صرح الرئيس الأميركي جورج دبليو بوش في ٢٠٠٦.

وإذا كانت اسرائيل سعيدة بخبر التخطيط لمحاولة اغتيال الجبير، كونه يوفّر سبباً وجيهاً لشن الحرب على إيران، بحسب الرؤية الاسرائيلية، فإن واشنطن وحدها تملك الإجابة عن ذلك. وكما يقول العارفون: الأرجح أن الإدارة الاميركية لن تتصرّف وكأن (المؤامرة) شيء حقيقي، فإنها أول من يعرف أنها هي التي كتبت هذا السيناريو بخطوطه العريضة وتفصيلاته الدقيقة.

الشيء نفسه يقال عن تقرير الوكالة الدولية للطاقة النووية الذي جاء هو الآخر متهافتاً، وكشف عن عقل أميركي مأزوم، بات عاجزاً عن تحقيق اختراقات خلّاقة للرأي العام الأميركي والعالمي. كان الهدف واضحاً بأن ما تقوم به الإدارة الأميركية والسعودية يهدف إلى حشد الأدلة المشرعنة للحرب، ولكن السؤال يبقى: الكل يريد الحرب في المعسكر الأميركي، ولكن هل تستطيع السعودية على وجه التحديد تحمّل نتائجها؟

آل سعود في لبنان

رهانات التحالف الخاسرة

جوني عبدو مدير المخابرات اللبنانية السابق ينتقد السعودية وأداءها في لبنان ومعاملتها للحريري كـ (طفل)!

عمر المالكي

في لبنان، حيث التنوّع السياسي والطائفي ولعبة المحاور بأحجام صغيرة ومتوسطة وكبيرة، يتقاسم الأفرقاء السياسيون نظرات متباينة حول السعودية ودورها في الشأن اللبناني..خارطة العائلة المالكة تبدو كما لو كانت شبه محسومة لبعض القادة السياسيين اللبنانيين، حتى أنهم صاروا يميّزون بين المعتدل والمتطرّف، وبين الصقر والحمامة، والأهم بين السخي والبخيل..

معرفة آل سعود بلبنان لا تقلّ عن معرفة بعض الساسة اللبنانيين بهم، مع لفت النظر إلى أن التدخّل السعودي في الشأن اللبناني منحهم مساحة أكبر للتعرّف على خبايا السياسة اللبنانية وخارطة القوى المتنافسة، والطوائف المتنازعة، وساعدهم في نهاية المطاف على امتلاك أدوات التفجير والتهدئة والتسويّة والمساومة..

لكن الأهم هنا، هو كيف ينظر اللبنانيون الى آل سعود، الحلفاء والخصوم على السواء. لدى الإنسان اللبناني العادي إنطباع نمطي أن السعودي العادي هو (شيخ) يمتلك المال وينفقه كيف يشاء، ولدى السياسي اللبناني، الحليف حصرياً، إنطباع آخر ودور أيضاً آخر، فهو وإن لم يختلف عن اللبناني العادي في انطباعه حول الوفرة الماليّة السعودية التي تفتح شهيّة ما، فإنّه في الوقت نفسه يدرك بأن شق قنوات مع جناح أو أكثر في العائلة المالكة كفيل بإقامة بنية تحتية حزبية قويّة، واستدراج أنصار ومحازبين، وتالياً مشروع سياسي. كثر من السياسيين في لبنان تعاطوا مع آل سعود، ولكن قلّة منهم حازوا على نصيب وافر من الدعم المالي. ولا علاقة لذلك بالإنتماء الطائفي والديني، فقد يحصل شخص مثل سمير جعجع، قائد القوات اللبنانية أو حتى أمين الجميل، رئيس حزب الكتائب على ميزانية تفوق ما يحصل عليه زعيم سنّي، مثل نجيب ميقاتي، ومحمد الصفدي، وسليم الحص، دع عنك عمر كرامي المحسوب على فريق ٨ آذار.

يعتنق فريق من السياسيين اللبنانيين المقرّبين من فريق ١٤ آذار تصوّرات حول العائلة المالكة، وعلى وجه الخصوص إزاء الأمراء المعنيين بالملف اللبناني، أو حتى بالملف اللبناني ـ السوري. وبحسب هذه التصوّرات يبني هذا الفريق مواقفه وعلاقاته والأهم من ذلك كله طبيعة الأدوار التي تفرضها هذه التصورات لجهة الإفادة من الدعم السعودي السياسي والمالي في خدمة قضايا خاصة، فئوية، طائفية، حزبية.

نسمع كثيراً عن ساسة لبنانيين يطلقون تصريحات إعلامية، مشحونة غالباً بحشوة دعائية وتواري حقائق جبل السياسي اللبناني على إخفائها بغية التماشي مع الجو العام، وللحيلولة دون إغضاب (الشيخ)، ولكن نادراً ما نسمع عن سياسي لبناني يبوح بمواقف صريحة عن آل سعود. نعم، قد تعني الصراحة لدى بعض السياسيين اللبنانيين المحسوبين على السعودية المطالبة بإلحاح وربما بغضب لدور سعودي فاعل في الملفات وعدم السماح لقوى أخرى، مثل إيران وسورية وحركات المقاومة، بالإستفراد بالساحة. وهذه الصراحة تتغيا عروضاً معروفة التكتيكات والأهداف، وليس من شأنها تقديم قراءة نقدية للسياسة السعودية في لبنان أو في الشرق الأوسط عموماً.

قد يحصل سمير جعجع أو حتى أمين الجميل على ميزانية سعودية تفوق ما يحصل عليه أي زعيم سنّي، مثل ميقاتي، والصفدي، والحص، وغيرهم

واحدة من التصوّرات التي كشفت عنها وثائق ويكيليكس مؤخراً، تعود إلى تاريخ ٢ نيسان (إبريل) ٢٠٠٧، حيث جرى لقاء في باريس بحسب الوثيقة رقم: ٠٧PARIS١٣٠٧، بين جوسيا روزنبلات، المستشار السياسي في السفارة الأميركية في باريس، وجوني عبدو، مدير المخابرات اللبنانية السابق. للمعلومية فحسب، أن جوسيا روزنبلات كان الممثل الأميركي في موضوع (أسلحة الدمار الشامل) في العراق زمن الرئيس صدام حسين، وهو من شارك في خداع الرأي العام الأميركي والعالمي، حين زعم بأن تقرير ديفيد كاي حول المنشآت النووية العراقية يتضمن أسراراً خطيرة، وسوف تكشف الولايات المتحدة عنها في الوقت المناسب، وتبيّن لاحقاً كذب مثل هذه المزاعم.



الحريري: دمية سعودية

على أية حال، ما يعنينا في اللقاء بين روزنبلات وعبدو بتاريخ ٣٠ آذار(مارس) ٢٠٠٧ هو ما دار فيه حول الشأن السعودي، حيث تحدّث عبدو بسلبية عن السياسة السعودية. الوثيقة التي حملت عنوان (ارتياب جوني عبدو حيال النشاط الدبلوماسي السعودي)، جاء في ملخّص الوثيقة بأن جوني عبدو لم يعد يثق بالتحوّل الحاد مؤخراً في النشاط الدبلوماسي السعودي في لبنان، وخطّأ السعوديين



جوني عبدو: ارتياب من النشاط الدبلوماسي السعودي

لكونهم لم يحملوا سعد الحريري على محمل الجد. لكن عبدو، أحد كبار داعمي ١٤ آذار، إنتقد قيادة ١٤ آذار، أي سعد الحريري، لـ (افتقاره لرؤية إستراتيجية)، وقال بأن الغالبية كانت (تستسلم تدريجياً) لقوى ٨ آذار المعارضة.

مدير المخابرات اللبنانية السابق، جوني عبدو، نقل وجهات نظره حول الأزمة السياسية اللبنانية خلال لقاء في بيته الباريسي في ٣٠ آذار (مارس) مع بولوف. وبدأ عبدو بالسخرية من القمة العربية الأخيرة في الرياض كونها لم تنتج (شيئاً جديراً بالملاحظة). (السعوديون مهتمّون بدرجة أكبر بالشكل أكثر من المضمون)، حسب ما يقول عبدو باحتقار، مضيفاً بأن البيان الختامي للقمة تجاوز الإنشقاقات العميقة بين أفراد آل سعود حول موضوع لبنان.

تضيف الوثيقة، بأنه بالعودة الى الجولة الأخيرة للنشاط الدبلوماسي السعودي في لبنان، يعبّر عبدو (الداعم زعماً لتحالف ١٤ آذار)، عن ارتيابه العام في السعوديين. ويقيّم بأن الأمير السعودي بندر بن سلطان ووزير الخارجية سعود الفيصل، ليسا على وفاق في ملف السياسة اللبنانية ـ السورية، حيث أن بندر يلّح في دعم ١٤ آذار وحكومة السنيورة، فيما يلّح سعود الفيصل على التوافق مع سورية، وأن الملك عبد الله يقف في الوسط بينهما، ولكنّه يخضع بسهولة تحت تأثير أي شخص يستطيع أن يهمس بإذنه أخيراً. (وسواء يقرر السعوديون أن يكرهوا بشّار مئة بالمئة، أو يحبّوه مئة بالمئة، فإن ذلك سيء للبنان) حسب قوله. وأن المشكلة الأكبر بالنسبة للسعوديين، حسب عبدو، هو أنهم لا يأخذوا سعد الحريري على محمل الجد. وفيما كان رفيق الحريري شريك فاعل في صنع القرار السعودي، وكان ينصح القيادة السعودية كيف تطوّر مصالح لبنان وكذلك السبيل الأفضل لتحقيق مصالح المملكة في لبنان، فإن السعوديين يتعاملون مع سعد (مثل طفل). إن عدم التوازن المترتب في العلاقة جعلت من الصعب على سعد الحريري تغيير الإنطباع بأنه مجرد دمية سعودية، الذي سوف يعمل كل ما تأمره به الرياض، وهو انبطاع، في المقابل، قوّض قدرته على مهاجمة حسن نصر الله وآخرين كونهم عملاء أجانب.

تواصل الوثيقة تسجيلاتها لملاحظات جوني عبدو حول السعودية وحلفائها في لبنان، ويقول بأن ١٤ آذار كان في موقف أضعف اليوم منه قبل عام مضى، وأنه يضعف في كل وقت. وأن ذلك، حسب قوله، عائد الى الإفتقار لرؤيّة إستراتيجية من جانب قيادة ١٤ آذار، وكذلك الإلتزامات الشخصيّة المتنوّعة لسعد الحريري، وسمير جعجع، ووليد جنبلاد. الحريري، كرّر عبدو، ينظر إليه على أنه مدين كثيراً للسعوديين، أما سمير جعجع فيقول الأشياء الصحيحة ومن المحتمل أن يؤمن بها، ولكنه بحاجة إلى تحسين صورته العامة (نقل عبدو عجز جعجع عن استقطاب أصوات المسيحيين الذين تركوا ميشال عون، وتنبأ بأنه في حال خاض عون الترشيح للرئاسة، فإن معظم مؤيّديه السابقين سوف يعودون الى معسكره)، وجنبلاط ينظر إليه من قبل كثيرين بأنه غير جدير بالثقة (بالرغم من أن عبدو مقتنع بأن جنبلاط (تجاوز نقطة اللاعودة)، وليس هناك من خطر على انحيازه للمعارضة)..

وتطرّقت الوثيقة الى تقييمات عبدو في جوانب أخرى لبنانية وسورية لا تعنينا هنا بصورة مباشرة، ولكن ما يعنينا في حقيقة الأمر هو ما ذكره عبدو حول إخفاق السياسة السعودية في لبنان منذ العام ٢٠٠٧، وتقييم الأمراء لحليفهم سعد الحريري، الذي فرّط في حكومته ونال غضب الأمراء والإعلاميين السعوديين، لأنه أساء إدارة الحكومة، وقدّم كل مبررات فشله.

الحريري اليوم يعود الى الساحة اللبنانية من العالم الإفتراضي، حيث فتح حساباً له على موقع (تويتر)، وصار يقدّم تغريدات استفزازية وضحلة، وكأنه لم يتعلّم شيئاً في غيابه كما لم يدرس هزيمته السياسية وأسباب سقوط حكومته.

الحريري بنى على وهم بأن آل سعود لن يتخلوا عنه مهما حصل، وأنه خيارهم الوحيد في لبنان، لمجرد أنه من حملة الجنسية السعودية أو لكونه إبن رفيق الحريري. مراسيم العزاء انتهت ولا يزال الحريري ـ الإبن يفتح مجلسه لاستقبال المعزّين، والداعمين. وانتهى زمن حصاد الجثث السياسية وبقي الإبن يتمسّك بالمحكمة الدولية كباب خلفي للعودة الى الحكومة عبر مساومات، وقد تحصل مثل تلك الصفقات ولكن ليس لأن الحريري خيار دائم لآل سعود. في الواقع، فقد الحريري الإبن رصيده السياسي والشعبي قبل فترة من سقوطه، حين قرّر الإمتثال لأوامر ما يوصف بـ (الأمن الخارجي) الممثل في الأمير مقرن بن عبد العزيز والأمير بندر بن سلطان، فيما كان يرفض الإصغاء إلى نصائح الأمراء الآخرين سواء المقرّبين من الملك عبد الله أو الأمير نايف، وجاءت وثيقة ويكيليكس التي وصف فيها الحريري الأمير محمد بن نايف، مستشار وزارة الداخلية للشؤون الأمنية، بأنه سفّاح، ليكسر الجرّة في العلاقة بين الحريري بين جناحي الملك ووزير الداخلية. نشير إلى أن الأمير عبد العزيز نجل الملك عبد الله قد دخل في حوار صاخب مع الحريري لأنّه تجاوز حدوده في التعامل مع الأوامر.

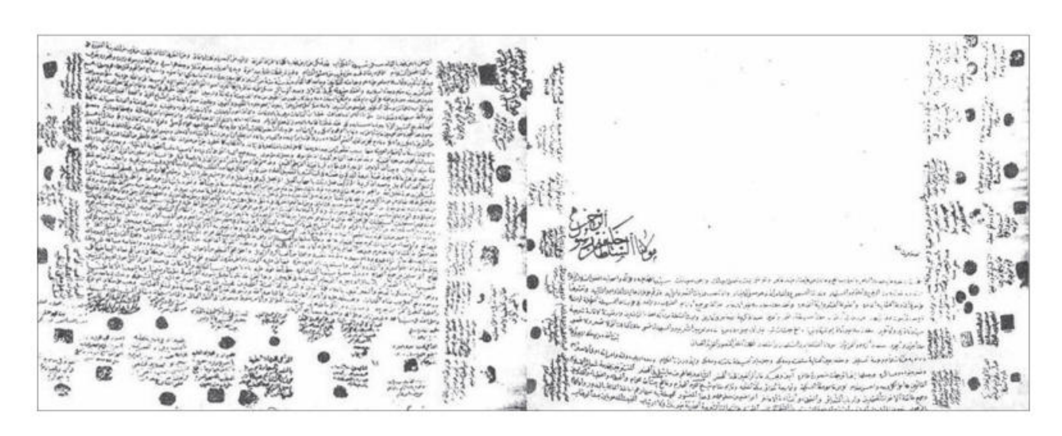
لاشك أن سعد الحريري أقدر من غيره من السياسيين اللبنانيين السنّة، فضلاً عن غيرهم، على فهم آل سعود، وهو يدرك متى يرضون ومتى يغضبون. فالرجل لم يكن بعيداً عن تربية القصور وتقاليد العائلة المالكة في الخضوع للكبير، والتزّلف للقوي، ومداهنة المنافسين، وإطراء الحلفاء المحتملين، ولذلك فهو يداوم على حضور مجالس كبار الأمراء، وحين يأتي الى المملكة يتخلى عن كل مناصبه، وحتى حين كان يتولى منصب رئيس الحكومة اللبنانية، فإنها يزور الرياض بوصفه من حملة التابعية السعودية، ومن رعيّة الملك والأسرة المالكة، فهو من بين رؤوساء كل حكومات العالم الذي يزور المملكة دون أن تقام له مراسيم استقبال ووداع.

حتى وقت قريب، كان سعد الحريري ينظر إلى الغضب السعودي على أنّه مجرّد فركة إذن، وأن (الأعمام) سيعوّضونه عن كل خسائره، خصوصاً وأنه يواجه أزمة مالية غير مسبوقة، إضطرته لبيع عدد من مؤسساته الحلوب، لسداد ديونه، ودفع رواتب موظفيه وتخديم بعض المشاريع العالقة. بطبيعة الحال، لا ينسى الحريري وأفراد عائلته من تذكير إبنهم بما حلّ بثروة آل الحريري من غضب وعقاب

عدم التوازن في العلاقة جعلت من الصعب على سعد الحريري تغيير الإنطباع بأنه مجرد دمية سعودية، وأنه يعمل كل ما تأمره به الرياض

بسبب كثرة المتربّصين بها، والحاسدين، والطامعين، والسارقين! مع أن التحقيقات في الفساد المالي في (سعودي أوجيه) تشير بأصابع الإتهام إلى الأنساب، وهو ما دفع به لطلب العون من الملك وكبار الأمراء للحصول على الدعم.

مهما حاول سعد الحريري أن يخفي السخط الشديد لدى أوساط الأمير نايف المقرّبين، فإن الحقيقة هي أن سعد لم يكن في يوم ما خياراً لدى الأمير نايف، بل هناك ميل الى اختيار شخصية موضع تقدير في خصائصها الذاتية والثقافية والروحيّة وتحظى بشعبية واسعة، وهو ما أثبت الشيخ سعد بأنه عاجز عن توفيره خصوصاً مع عودة شخصيات سنيّة مثل الصفدي وميقاتي وكرامي جرى إقصاؤها في عهد الحريري الأب إلى الواجهة.



لوقف استباحة الوهابية للحرمين الشريفين

علماء الحجاز يناشدون السلطان العثماني التدخل

محمد شمس

في مناشدة عاجلة الى السلطان العثماني، رفع القاضي والأربعة المفاتي بمكة المكرّمة، و قايم مقام شيخ الحرم، وفاتح بيت الله الحرام، إلى جانب عدد من العلماء والخطباء و المدرّسين وجميع طائفة الأغوات المعتمدين وأرباب الشعائر والصلحاء والسادة بمكّة المكرمة والمعاصرين للحركة الوهابيّة، رسالة يشرحون فيها مخطط الحركة الوهابية الناشئة وأخطارها على أرواح الأهالي، والآثار والميراث الإسلامي التاريخي والحضاري.

الموقّعون على العريضة/ المناشدة هم، كما هو واضح من الوثيقة، ممثلون عن المجتمع الديني الحجازي بكل أطيافه، كما تعكس تثبيت المفتين الأربعة توقيعاتهم على المناشدة، وكذلك كبار العلماء من المذاهب السنيّة الأربعة، وجمع كبير من العلماء والوجهاء والشخصيات في المجتمع المكّي. ثانياً، إن الرسالة شدّدت على موضوعات هي مصدر قلق مشترك في زمن إبن عبد الوهاب، حيث تكفير السكّان، والإفراط في القتل وسفك الدماء، واستباحة المناطق ونهب الأموال والممتلكات بعنوان الغنائم، وتهديد الأمن والسلام الأهلي، وهو ما دفع كثيراً من الأهالي إلى الهرب والنزوح إلى أماكن آمنة خشية القتل.

يبدو من الوثيقة أيضاً أن الدولة العثمانية كانت منشغلة في حروب خارجيّة ما سمح للحركة الوهابيّة باستغلال هذا الظرف التاريخي لتنفيذ مآرب خاصة، وهو ما دفع علماء الحجاز إلى تنبيه السلطان العثماني إلى خطورة الوضع وما تحمله الحركة الوهابيّة من تهديدات على الأمن العام، والسلام الأهلي، والتراث الديني، والآثار التاريخية، فاضطر السلطان العثماني إلى إصدار أوامر إلى والي مصر محمد علي باشا بإعداد حملة عسكريّة والتوجّه إلى الحجاز لطرد القوات السعودية الوهابيّة، وهو ما جرى بالفعل وأدّى في نهاية المطاف إلى سقوط الدولة السعودية الثانية.

بدا علماء الحجاز في الرسالة كما لو أنهم يعلنون حالة طوارىء في الديار المقدّسة في ضوء الإرتكابات الإجراميّة للوهابيّة في مناطق مختلفة، والطريقة التي كانت تتعامل فيها مع الأهالي، والممتلكات، الأمر الذي أثار فزع سكّان مكة والمدينة، بل إن توصيف العلماء كان يشيرالى أن حالة ذهول غشت الأهالي، بحيث استحوذت حالة من الهلع الشديد على الأفراد، بفعل ما تردّد من أنباء عن قدوم القوّات الوهابية إلى الحجاز وزرع الموت والدمار في الديار الآمنة.

ونضع هنا نصّ الرسالة ـ الوثيقة، والتي تعكس الواقع التاريخي للوهابية:

مولانا السلطان خليفة رسول الرحمن

اللهم إنا نعوذ بسلطانك الباهر، ونعوذ بساطع برهانك من كل جبار عنيد فاجر، ونتوسل إليك بأفضل أنبيائك وأجمل أصفيائك سيدنا محمد عليه وعلى آله وأصحابه أفضل الصلاة والسلام، أن تتقبل بالقبول دعائنا المرفوع في الملتزم والمستجار، وندائنا المسموع في المقام الذي هو مصلى الأخيار، وأن تنصب رايات النصر والتأييد، وترقم على طرازها آيات الدوام والتأبيد، وتنشرها على معرف الدولة العثمانية الفاخرة، و أنضولة الخشيروانية القاهرة، وتخلّد ملك سلطان سلاطين الإسلام، ظل الله على جميع الأنام، المضروب رواق ملكه على بساط البسيطة، المنظم غاية الإنتظام، تاج مرقي الملوك وفي (..)، حرز مناقب آل عثمان ملك البسيطة بالطول والعرض مصداق كريمة إني جاعل في الأرض وارث السلطنة من آباته الخلفاء الراشدين وارتضيته لإقامة شريعة سيد الأولين والآخرين، سلطان سلاطين الأقاليم شرقاً وغرباً، دامغ جيشات شياطين الأباطيل سلماً وحرباً، خادم الحرمين الشريفين والمسجد الأقصى مالك الممالك التي لا تحسر ولا تحصى ملك البرين والبحرين سلطان الروم والعراقين مولانا السلطان إبن السلطان الملك المظفر المنصور المؤيد ألحان ثبت الله دعائم ملكه إلى يوم الدين وأدام به عزّ الإسلام وحرمة المسلمين، وحفظ بعين العناية سلطنته وملكه، وجعل ساير البسيطة خاصّته وملكه وأيّد وزرائه الكرام وسدّد أرباب دولته وأمرائه أولي الإحترام ونصر جنوده وعساكره وجعلها أينما توجّهت منصورة ظافرة آمين وبعد:

فإن الرافعين لهذا المحضر الشاهد بحالهم عندما يتلى في المحضر المتشرفين بخدمة شعائر الإسلام القائمين بها على أكمل وجه وأحسن نظام، كل من قاضي مكة المكرمة، والأربعة المفاتي بمكة المعظّمة، و قايم مقام شيخ الحرم المحترم، وفاتح بيت الله الحرام، والعلماء والخطباء و المدرّسين وجميع طائفة الأغوات المعتمدين وأرباب الشعائر والصلحاء و السادة الأفاخر الواضعين خطوطهم في هذا المنشور المحيط به أمهارهم إحاطة الهالة بالبدور والأكمام بالزهور ينهون إلى الأعتاب العليّة والسدّة الفاخرة السَنيّة، أن الشقي المرتاب، ألمتجري على انتهاك الشريعة المحمدية بغير شك ولا ارتياب الخبيث المدعو بابن عبد الوهاب القاطن بأرض نجد باليمامة مسكن مسيلمة الكذاب، قد تمكّن من أرض نجد بأكملها لأطراف العراق إلى قرب البصرة وتلك الآفاق ومن الطرف الثاني تملك من قرب المدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام إلى عرب يقال لها عنزة قريب من دمشق الشام.

ولم يزل يتملك بلدة بعد أخرى ويدع العربان بعضهم قتلى وبعضهم أسرى، وعلى الله ورسوله بزوره وفجوره يتحرى ويدعي أن الدين والإسلام ما هو عليه وجماعته الظانين وما عداهما كفار منذ ست مئة من السنين، وكلّما ملك بلدة إدّعى أنه ما ملكها إلا عنوة واستباح أموالهم وقتل علماءهم وصلحاءهم، إلاّ من آمن بدينه منهم وجدّد إسلامه، واعتقد عقيدته كحرق الدلايل وعدم الوسائل منكراً قوله تعالى: "يا أيها الذين أمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة" فمن وافقه على دينه سلم روحه ومهجته ولم بدر عن ندمه، ومن لم يوافقه على كفره أباح قتله وأمر تقرب بسفك دمه.

وقد كان ظهور هذا اللعين من عام ألف و مئة و ثلاثة وأربعين إلى هذا الحين، حتى فجر في البلاد وأقام شوكة أهل العناد والإلحاد، وقد تكرّر إرسال من أشراف مكة المكرمين فيما مضى من السنين لأسلافكم الكرام عروض ينهون إليهم خبره بالتفصيل والتبيين ويطلبون منهم الإعانة قبل اتساع الخرق..

والنجدة النجدة قبل الناس أن تمزق، فلم يرد الله سبحانه وتعالى ذلك، حتى أدى الأمر إلى ما هنالك، فعلّمنا أن التّامات مرهونة بالأوقات، وإلى الله أمور الإجابات، والآن قد زاد فجوره وطغيانه، وظهر للخاصّة والعامّة مسيئاته فالنجدة النجدة قد بلغ السيل الزبا وجرى ما حسبنا منه.

فقد تعلقت الحمامة بالوصول إلى هذه الديار، وحذا منه آماله بالسلوك إلى هذه الأقطار، وان يضم أم القرى لمملكته ويجعلها في حيازته، وحصل بوصول هذا الخبر لأهل الحرمين غاية الإضطراب ونهاية الوهم والكدر والإتعاب، فلم يدري الشخص أقال شيئا أم لا، ولم يدري المصلي بالمسجد الحرام كم صلى، ولعمري إن لسان الحال فيه أبكم، و نازل إذ هل من التفريق بالكيف والكم، وفادح تعجز عن تحمله الصم الصلاد، ورزئ عم ساير البلاد والعباد بما كاد أن يخلع الناس من رتبة الإنقياد والإذعان، ويفضي لزوال ما تمهّد من الأمان في سالف الأزمان، داعٍ إلى فرار سكّان الأقطار الحرمية منها بسبب تقلص الأمن بعد ذلك منها، كما علم ذلك بالمشاهدة في إبانه، والكتاب كما تعلمون يقرأ من عنوانه، فكاد هذا الخبر يشغلهم من الزما للدولة العثمانية بسبب شدّة الخوف من هذه القضية.

وقد تفوّه هذا الفاجر الخبيث إن بلغ سؤله وحصل له مأموله، يهدم جميع البناء التي على الأولياء والأصفياء وقبب الصحابة الأتقياء، ويهدم والعياذ بالله قبّة سيد المرسلين وبيت الله الأمين، إلى غير ذلك، مما أذكرنا فتنة القرمطي اللعين، وقد صمّم على الرسول بالخبر المتواتر الذي لا شبهة فيه على ألسنة الواصلين من الفرق التي تليه، وجمع الجموع واستعد لذلك، ما كاد يفوق قصة أبرهة المذكورة قصته في كتب السيرة بالتفصيل المعلوم عند قاريه القائل فيها عبد المطلب بن هاشم أنا رب الإبل وللبيت رب يحميه، راجين من الله تعالى ثم منكم العذاب الأبيل ومصداق كريمة (ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل ألم يجعل كيدهم في تضليل وأرسل عليهم طيراً أبابيل ترميهم بحجارة من سجّيل فجعلهم كعصف مأكول) ، متمسكين بدعوة خليل الله إبراهيم وبقوله تعالى (ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم)، وقد أخاف سكّان بيت الله وتفوّه بانتهاك حرم الله، وأظهر ما كان في حشاه كامناً ولم يخشى قوله تعالى عزّ من قائل (ومن دخله كان آمناً)، وقوله صلى الله عليه وسلم (لم يحل لي إلا ساعة من نهار، ولم يحل لأحد من بعدي)، وعن وهب بن منبه رضي الله عنه يروي إن الله تعالى يقول (من أمن أهل الله استوجب بذلك أماني، ومن أخافهم أخفرني في ذمتي، ولكل ملك حيازة ما حوليه وبطن مكة حوزي، وأهلها جيران بيتي وعمّارها وزوّارها وفدي و أضيافي وفي كنفي وأماني ضامنون عليه في ذمتي وجواري)، وذكر العلامة المحدث أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي أن النبي صلى الله عليه وسلم لما استعمل عتاب إبن أسيد على مكة قال لعتاب: (أتدري على من استعملتك؟ استعملتك على أهل الله تعالى فاستوصي بهم خيراً يقولها ثلاثاً.

فالمرجو من مراحكم الكريمة وأنظاركم الشاملة الحميمة النظر في جيران بيت الله الحرام بحزمات ما يجب لجيرانه من الإعزاز والإكرام، والمدد السريع لهؤلاء الضعفاء والمساكين الذين قال في حقهم نبي الله إبراهيم وهو المنيب الأوّاه (ربي إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة)، فإن في عامّة هذا الأمر فتنة عظيمة في الدين وعار يخبر به الأولون الآخرين، ولتسمعن نبئه بعد حين، فما لتأخير دولتكم العلية من دافع، والإنذار من انتهاك الحرم يضع الله جار بلا دافع، وحاشا سلطان بسهولة أن يرضى بذلك لجيران بيت الله الحرام، أو يضام جيران بيته بشئ من هؤلاء الفئة اللئام.

وقد سبق أن المشار إليه قد سبق قبل هذا العام بما عزم عليه الآن، فداركه بعظمته العليّة وسطوته القوية الهاشميّة مولانا فخر السادة الأشراف وجدة القادة من عبد مناف مولانا شريف مكة حالاً، زاد مدّه ودام سعده، وتوجّه بنفسه وبجملة من العساكر والرجال وأنفق الجم العظيم من الأموال، حتى وطئ من حدوده وأختامه مسافة شهر ومكث بقبائل عدة وأذاقهم البليّة والشدّة والقهر واستعرت نار الحرب مدة، فضاق عليه الوقت بأواخر شهر ذي القعدة فلم يمكنه التخلف عن مكّة في زمن الحج فعاد إليها خوفا على الحجّاج الواصلين من جميع الفجاج.

ولم يزل حضرة سيدنا المشار إليه خلد الله نور عليه باذلاً جهده بحسب الطاقة والإمكان في حفظ القرى حول الحرمين الشريفين تحصيناً غاية التحصين بإرسال المراجل و الذخائر العظيمة في كل حين، وها نحن قد تلونا بذكر سورة الواقعة نطقاً وضمناً، وما شهدنا إلا بما علمنا. ونرجو أنباء منكم بالفتح والنصر المبين بإعلاء كلمة الدين وكسر شوكة الفئة الملحدين، فحيث كنّا ليس لنا من نرفع إليه أكف الشكية ونبث له ما عهد من قبل ونرجوه رفع الكرب عنا والمهمات ونعتمد عليه في الأمور الحادثات، فما لنا بعد الله ورسوله خير البرية إلا حضرة دولتكم العثمانية، ويجب على سكّان أم القرى والبلدة المطهّرة الغراء، أن يعرضوا إلى جنابة دولتكم ما قد جرى من الحادث المتوالي، والأمر منوط ومفوّض إلى النظر العالي، وإلى الله سبحانه وتعالى المشتكى وبه المستعان، وصلى الله على سيدنا محمد ولد عدنان وعلى آله وصحبه مصابيح الزمان،،،

التوقيعات

سخاء مالي وانفتاح على الأزهر، واستقبال عمر سليمان

ماذا يريد آل سعود من مصر الثورة؟

عبدالحميد قدس

غضب آل سعود لسقوط حليفهم الطاغية حسني مبارك، ولكن لم يتركوا مصر الثورة كيما تعيد ترتيب بيتها وفق شروط جديدة، تخضع لارداة الشعب المصري دون سواه. ولأنهم يعرفون ماذا يعني أن تضطلع مصر بدورها التاريخي، أو تستعيده بعد ثورة ٢٥ يناير ٢٠١١، فقد بدأوا فور سقوط مبارك بالتخطيط لاحتواء الثورة المصرية، وقيادة الثورة المضادة بكل أساليب المكر والخداع. حق لشباب الثورة في مصر أن يخشى على ثورته من مال آل سعود وعملائهم، ومخططاتهم لتخريب الثورة، وتشويه أهدافها، والأخطر توظيفها لخدمة مشاريع أخرى مضادة لتطلّعات الشعوب العربية.

لم يكن بريئاً قرار آل سعود في مايو الماضي تقديم مساعدة مالية بقيمة ٤ مليارات دولار، في وقت كانت اليد الأخرى تمتد الى تمويل جماعات سلفية متشدّدة كانت على علاقة وثيقة بجهاز الإستخبارات المصريّة السابقة..من نافلة السؤال: هل ثمة علاقة بين ذلك وزيارة اللواء عمر سليمان، نائب الرئيس السابق، ورئيس جهاز الاستخبارات المصرية الى المملكة بدعوة خاصة. وفي الخبر، غادر سليمان للسعودية في زيارة غامضة في الأول من تشرين الأول (نوفمبر) الجاري على متن طائرة سعودية خاصة متوجّهاً الى المدينة المنورة. وفيما زعمت مصادر بمطار القاهرة بأن سفر اللواء سليمان كان لأداء فريضة الحج، فإن مصادر أخرى ذكرت بأن الزيارة كانت لأغراض أخرى غير دينية. مصادر مطار القاهرة أفادت بأن وفداً سعودياً كان بانتظار اللواء سليمان الذين اصطحبوه الى طائرة خاصة، لم يظهر عليها أي أعلام أو إشارات توضح هوية الدولة التي تنتمي إليها.

كل الذين راقبوا مراحل سفر سليمان الى السعودية أصابتهم حيرة وانبعث السؤال الكبير: ما سر هذه الزيارة الغاضمة الى السعودية؟ وكيف سمح المجلس العسكري الحاكم في مصر لسليمان بالسفر دون غيره من رموز النظام الخاضعين لإجراءات صارمة في السفر والتحرّك إن لم يكن المسائلة والتحفظ والإيقاف؟. نشير ببراءة مقصودة إلى أن اللواء عمر سليمان هو صاحب نظرية الإنقلاب العسكري إذا فشل الحوار مع الثوّار، في وقت تتزايد المخاوف وسط شباب ثورة ٢٥ يناير، بل القوى السياسية الشعبية في مصر، بأن المجلس العسكري يسعى لاختطاف الثورة وتجييرها لصالحه، وإعادة إنتاج نظام مبارك.

الصمت حول اللواء سليمان منذ انتصار الثورة حمل رسائل مخيفة لكثيرين، ليس لكونه نائب رئيس النظام الذي ثار الشعب المصري من أجل إسقاطه، ولكنّه أيضاً مدير أخطر جهاز استخبارات في الشرق الأوسط، والخبير في شؤون الجماعات السياسية الدينية والعلمانية. فحين يصبح سليمان مستشاراً للأمير نايف، ولي العهد السعودي الجديد، يعني أن مشروعاً استخباراتياً ليس على مستوى مصر ولكن على مستوى الشرق الأوسط يوشك أن يبدأ بهدف تقويض تحصين الداخل السعودي من تردّدات الربيع العربي، واحتواء الأمواج الثورية الشبابية في أكثر من قطر عربي. نفي مقرّبين خبر كون سليمان سيعمل مستشاراً أمنياً لم يعد مقنعاً.

كان يمكن أن يسكت شباب الثورة في مصر عن زيارة سليمان الى المدينة المنورة، لو كانت بحق مقتصرة على أداء مناسك الحج، رغم أن خروج رمز كبير في النظام المصري السابق يجب أن يخضع لإجراءات صارمة جداً، خصوصاً وأن سليمان تولى إدارة أخطر جهاز أمني في الشرق الأوسط، وهو جهاز المخابرات المصرية. ولكن سليمان مالبث أن ظهر برفقة وزير الداخلية السعودي وولي العهد الحالي المير نايف، ما أثار تكهنات جمّة حول الوظيفة المنتظرة لسليمان لدى آل سعود، مع أن العاملين في جهاز المخابرات يخضعون لقانون رقم ١٠٠ لسنة ١٩٧١، والمعدّل بقانوني ١٧٩ الصادر سنة ١٩٩٣، و٤ الصادر سنة ٢٠٠٩، والذي ينص على مراعاة العاملين في المخابرات إعتبارات خاصة منها (د): عدم الإلتحاق بالعمل لدى إحدى الحكومات أو الهيئات الأجنبية قبل انقضاء سنتين على ترك الخدمة بالمخابرات العامة ما لم يكن ذلك بإذن كتابي من رئيس المخابرات العامة. هذا بالنسبة للعاملين، فكيف برئيس الجهاز نفسه، وقبل مضي سنتين على تركه المنصب؟

من حق الشعب المصري إنكار سفر عمر سليمان الى آل سعود ما يثير شبهة التعامل معهم، ويجعل السعودية دولة لا تحترم السيادة المصرية

ما يجدر ذكره أن خبر زيارة عمر سليمان الى المملكة لم تكن سريّة هذه المرة، فقد بث التلفزيون الرسمي السعودي على القناة الأولى حفل إستقبال رؤساء بعثات الحج الرسمية لقطات للواء عمر سليمان رئيس المخابرات المصري السابق ونائب وئيس الجمهورية سابقاً وهو يظهر مع ولي العهد السعودي ووزير الداخلية الأمير نايف بن عبدالعزيز آل سعود. وجاء ظهور عمر سليمان ليثير جدلاً جديداً حول الدور الذي يلعبه سليمان في المرحلة الحالية، وما إذا كان سيتولى منصبا أمنيا بالمملكة كما تردد فيما سبق، أم أن الظهور له علاقة بضغوط سعودية لوقف محاكمة الرئيس المخلوع، أم انها مجرد زيارة لأداء فريضة الحج كما تردد. وكانت أنباء قد تردّدت بشدّة على أن عمر سليمان سيتولى منصباً أمنياً في المملكة، وقد تحدّدت الوظيفة في مستشار ولي العهد السعودي للأمن الخارجي.

بطبيعة الحال، من حق الشعب المصري إنكار الطريقة التي غادر بها سليمان مصر، وأن تأتي طائرة سعودية بطريقة غامضة وتقل رئيس جهاز استخبارات سابق، وأن يقوم هذا الرئيس بلقاء كبار مسؤولي السعودية، رغم إنهاء وظيفته الرسمية، ما يثير شبهة التعامل مع دولة أجنبية، وما يجعل السعودية دولة لا تحترم السيادة المصرية خصوصاً بعد الثورة حيث السيادة الشعبية هي العامل الحاسم. ثم ألا يثير ذلك سؤالاً حول دور المجلس العسكري، الذي لم يعلّق على الخبر، فضلاً عن أن يكون له موقف مما جرى. والحال أن المجلس بات موضع ارتياب من قبل قطاع كبير من شباب الثورة والقوى السياسية الوطنية والقومية، خصوصاً وأنه يتولى إدارة البلاد بعد الثورة، ويفرض تدابير تؤول الى إجهاض الثورة واختطاف منجزاتها..

مصدر المخاوف في تقديرنا من زيارة عمر سليمان الى السعودية سواء بالنسبة للمصريين أم بالنسبة للمواطنين في المملكة تعود الى التجربة سيئة الصيت لوزير الداخلية الأسبق اللواء زكي بدر، والذي أقيل من منصبه بعد أن أصبح شخصية

ممقوتة وعامل تفجير سياسي في الداخل المصري. وبدر هو رابع وزير داخلية في عصر مبارك، وهو الأعنف بين وزراء داخلية مصر منذ تسلّمه عمله في مارس ١٩٨٦، وتمّت إقالته في يناير ١٩٩٠، بعد خطاب استفزازي ضد المعارضة المصريّة.

زكي بدر غادر بعد إقالته من منصبه الى السعودية، وتحوّل إلى مستشار أمني لدى وزير الداخلية السعودي، الأمير نايف، الذي استقبل بالأمس عمر سليمان. اللواء زكي بدر الذي أشتهر بخبرته الواسعة مع الإسلاميين في سجون مصر، أصبح مسؤولاً عن ملف الحركات الإسلامية في وزارة الداخلية السعودية، وقد ربّى جيلاً من رجال الأمن والإستخبارات الذين انخرطوا في مواجهات مع التنظيمات السياسية الإسلامية في مناطق متفرّقة من المملكة، وكان بدر مستشاراً في ملف أمن الحج.

وقد استعان الأمير نايف باللواء زكي بدر للتعامل مع ملف المعارضة في الداخل. ولوجود خصائص مشتركة بين الرجلين (نايف وزكي بدر)، فإن الأخير كثّف جهوده في الداخل كيما يقنع وزير الداخلية بأنه جدير بمنصب مستشار أمني خاص. بدر الذي اشتهر باتقان قاموس الشتائم،

بوحي من نزوعات طائفية سعى آل الشيخ التواصل مع مؤسسة الأزهر لجهة عزل الثورة عن محيطها العربي والإسلامي وتأجيج الإنقسام المذهبي

واستخدام الأيدي والأحذية ضد المعتقلين والخصوم السياسيين، وتحت قبة البرلمان أحياناً كما جرى في العام ١٩٨٧، بل إن بدر شمل بشتائمه قادة الأحزاب والوزراء وحتى رئيس الوزراء الأسبق عاطف صدقي لم يسلم من لسانه رغم أنه رئيسه في الحكومة. والأخطر من ذلك كله، أن بدر وضع خطّة بقتل أكثر من نصف مليون مصري، وأصدر أوامره للعمد والمشايخ والخفراء بقتل ودفن كل من له لحية أو يرتدي جلباباً أبيض. هو نفسه اللواء بدر الذي بقي مستشاراً لوزارة الداخلية السعودية وللأمير نايف على وجه الخصوص، واليوم يخلفه رجل من نفس المؤسسة الأمنية ويحمل خبرات واسعة ومعلومات هائلة عن التنظيمات السياسية.

الوهابية ومحاولة اختراق الأزهر

كان الأزهر والمؤسسة الدينية المصرية بكل أذرعها وفروعها مصنّفة في خانة الخصم بالنسبة للمؤسسة الدينية الوهابية، ولم تشهد العلاقة بين الأزهر والوهابية إنسجاماً في يوم ما، فقد حمّل علماء الوهابية الأزهر مسؤولية التقريب بين المذاهب الإسلامية، وكتبت العشرات من المؤلفات الناقدة لدور الأزهر في التقريب بين الحق والباطل، حسب زعم الوهابيين، ولطالما بثّوا الأراجيف ضد مؤسسة الأزهر، ونقموا عليها وعلى علمائها لمجرد دعوتهم للتعايش بين المسلمين على أساس الإحترام المتبادل والإنفتاح المسؤول على علوم ومعارف المذاهب الإسلامية لناحية فهمها بصورة صحيحة، فتح قنوات للتواصل بين علماء المذاهب الإسلامية.

في المقابل، كان الوهابيون يجدّون في شن حملات التحريض ضد الأزهر ومؤسسة دار التقريب بين المذاهب، حتى أنهوا شكّكوا في إسلام الأزهريين.

بعد نجاح الثورة المصرية في خلع الرئيس السابق حسني مبارك، بدأت المؤسسة الدينية الوهابية بالتنسيق مع وزارة الداخلية السعودية، ومع الأمير نايف على وجه الخصوص، بمحاولة اختراق المجتمع المصري، ومؤسساته الفاعلة. وبوحي من نزوعات طائفية مفضوحة، سعت المؤسسة الدينية الوهابية الى التواصل مع مؤسسة الأزهر ورموزها من أجل تحقيق أهداف معروفة: اختراق الثورة المصرية من أحد مؤسساتها الفاعلة، وترسيخ الإستقطاب الطائفي لقطع الطريق على تفاعل الثورات العربية والإسلامية، من خلال التأكيد على الإنقسام المذهبي السني الشيعي، وأهداف استراتيجية بعيدة ترتبط بالصراع بين معسكري المقاومة والاعتدال، وتحضيرات الحرب على إيران..

لقد بدا واضحاً أن استعمال مفردات ذات دلالات طائفية لا تنتمي الى ثقافة الأزهر ولا تاريخه التقريبي، وهي مفردات وردت في بيان مشترك بين الأزهر الشريف ووزارة الأوقاف السعودية تشي بأن للأخيرة ضلعاً في تأجيج النعرات الطائفية. فقد كان البيان الذي صدر عقب لقاء وزير الأوقاف السعودية صالح بن عبد العزيز آل الشيخ وشيخ الزهر الدكتور أحمد الطيب في القاهرة في ١١ تشرين الأول (أكتوبر) يشتمل على عبارات ترد لأول مرة في بيانات يشارك فيها الأزهر، كـ(التصدي لأي محاولات تهدف للمساس بالمجتمعات الإسلامية السنيّة تحت أي شعار مخالف).

تكرّرت عبارات من قبيل (تقوية الموقف الإسلامي وخاصة بين أهل السنة والجماعة..)، وهو كلام غير مسبوق وينطوي على خلفية طائفية تقف وراء مثل هذه الجمل المشبوهة. وكان من الواضح من كلام آل الشيخ والإطراء المفتعل لمرجعية الأزهر التي اعتبرها (مرجعية كافة أهل السنة والجماعة وأنها لا تقبل المساس أو المزايدة علي المستوى الديني والسياسي)، أنه كلام غير صحيح، تماماً كما هو القول بأن (السعودية وعلماؤها ينظرون إلي الأزهر على انه المرجعية الإسلامية الشامخة وأن رمزية الأزهر لأهل السنة والجماعة لا تقبل المساس أو المزايدة علي المستوى الديني والسياسي).

ولو عدنا للأدبيات الوهابية لما وجدنا شيخاً أو عالماً وهابياً ينظر الى الأزهر بوصفها مرجعية عامة لأهل السنة، وإنما هو كلام يراد توظيفه في معركة طائفية تستدرج إليها مؤسّسة الأزهر. والصحيح هو ما قاله آل الشيخ ولكن بطريقة مختلفة (فنحن حريصون على الإقتراب لعلماء مصر لأنها أكبر دولة عربية وإسلامية فيها العلماء والسياسيون والكتّاب والمفكرون المؤثرون فمصر دولة مهمة لكل مسلم وخاصة في أمنها واستقرارها وهذا ما نسعي إليه مع الأزهر..). إذاً ثمة هدف محدد يريده آل الشيخ



عمر سليمان في الرياض

بطلب من سيده وزير الداخلية السعودية لكسر الجمود في العلاقة مع الأزهر، بهدف اختراقه وحرف مساره.

هل ثمة علاقة بين زيارة آل الشيخ للأزهر وتصريح الأمير نايف في ٧ تشرين الثاني (نوفمبر) الجاري حول البيت الإسلامي الكبير، وهو بالتأكيد لا يعني أكثر من محاولة فتح الطريق مع بيئات إسلامية كانت مصنّفة في خانة الفرق الضالة أو الخصوم، وأصبحت اليوم، ولأهداف معلومة، في خانة أهل السنة والجماعة. فقد دعا الأمير نايف القادة والشعوب إلى (طريق الوحدة لا الفوضى) وحذّر مما أسماه (تصدّع البيت الإسلامي الكبير). ودعا نايف إلى (الإدراك بأن عوامل الخلاف والفرقة والتصدّع في البيت الإسلامي الكبير لن يحمل في طيّاته غير الشتات والفوضى والضعف ولن يستفيد من ذلك غير أعداء الأمّة الذين تربّصوا بها ولا زالوا). مثل هذا التصريح لا ينتمي الى العقل الديني الوهابي، فضلاً عن العقل السياسي السعودي، فحين يجري الحديث عن الوحدة، فإنما يعنى بها وحدة بين المؤمنين بعقيدة التوحيد وفق المنهج السلفي، وحين ينعقد الكلام عن البيت الإسلامي، فالمقصود به الدار الذي يقطنها الموحّدون والدعاة وأتباعهم.

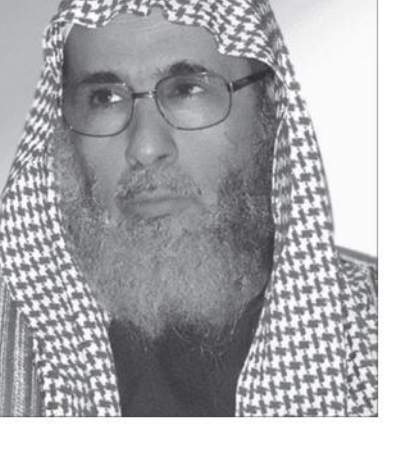
ولكن حين تصدر تصريحات خارج النسق اللاهوتي الوهابي، وخارج القاموس السياسي السعودي لابد أن نتوقّف لاستكشاف خلفيات تلك التصريحات..ببساطة يمكن القول، أن آل سعود يحاولون اختراق مصر عبر مؤسساتها الأمنية والدينية والسياسية وتوظيفها في مشروع الثورة المضادة ووأد ربيع العرب.

الوهابيّة: مذهب الكراهية

مشايخ التكفير

الجزء (٣ - ٤)

سعد الشريف



لا يفتأ مشايخ الوهابية يذكّرون أهل دعوتهم وخصومهم في آن معاً، بأنّ التكفير هو من خصائص أهل التوحيد. فإذا كان التوحيد، في مآلاته النهائية، يستبطن خاصيّة (الإنشقاق) في بنية الأمّة، فذلك لكون هذا (التوحيد) يعبّر، حصريّاً، عن الوعي اللاهوتي الوهابي، فيما تواطأت الغالبية الساحقة من المسلمين على فهم مشترك لعقيدة التوحيد، سوى تفاصيل طفيفة تباينوا حولها، ولكن غير مخلّة بأصل المعتقد التوحيدي.

نقف هنا عند شخصية تكفيرية أخرى، في سياق الكشف عن خبايا الوعي التنزيهي، التكفيري. ورغم ما قد يظهر من تماثل ذهني بين شيوخ التكفير، خصوصاً في المواقف من المذاهب والفرق الإسلامية، فضلاً عن الأديان السماوية الأخرى، وهي مواقف، على أية حال، مستلهمة ومستمدة بدرجة أساسية من تراث الشيخ إبن تيمية، فإن ثمّة ضرورة للتعرّف على طبيعة المقاربات التي يعتنقها شيوخ الوهابية لناحية التأصيل للمواقف التكفيرية.

الشيخ ناصر بن سليمان العمر، أحد كبار مشايخ الصحوة الذي برزوا في التسعينيات من القرن الماضي، وهو أستاذ في كلية أصول الدين بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض. الأهم في الأمر، أن العمر يعتبر من رموز التكفير في السعودية، كما تعكس ذلك عشرات المقالات، والمحاضرات، والبيانات، والمداخلات التلفزيونية. فقد صنّف العمر رسائل وكتب وتقارير تكشف عن النزعة التكفيرية الضارية، الى الحد الذي جعلته مسكوناً بتكفير الآخر، لمجرّد الإختلاف معه أحياناً. ومن يستمع أو يقرأ للعمر يخرج بانطباع مفاده أن نظريّة المؤامرة تكاد تكون المحرّك الرئيس لتنظيراته السياسية والأيديولوجية.

حين يكرر العمر مواقفه القديمة، على قاعدة أنها "اكتشافات مبكّرة" لمن يصفهم بالأعداء، يوحي، إلى حد كبير، بأن ثمة تفكيراً ساكناً قد أحكم قبضته على مجال العقل النقدي، فلم يعد العمر قادراً على مراجعة أفكاره ومواقفه القديمة، بل ثمة عقل اجتراري يكرّر نفسه، ويكرّر في الوقت نفسه مقولات الآخرين من المتماثلين معه عقدياً وذهنياً، وأيضاً نفسياً. فقد يتوهّم العمر، أحياناً، بأنّ ما يذكره يمثّل درراً في الفكر والعقيدة، فيما الواقع يفيد عكس ذلك، فمثل الآراء التي يتداولها العمر أو يشتغل عليها ويعيد إنتاجها لم تعد صالحة في المجال الإسلامي، فضلاً عن المجال الإنساني، لأنها تنتمي الى عقود، وربما قرون، غابرة خلت.

مصنَّفات العمر وكتيّباته لا تحمل جديداً على مستوى الفكر الديني، وغالباً ما يكون تجديد الفكر الديني آخر ما يمكن لمشايخ الوهابية الإشتغال عليه، ولذلك، فإن نتاجات العمر مقروءة ومسموعة، شأن نظرائه في المذهب، لا تخضع لقراءة حقوقيّة أو فكريّة، بل هي لا تبرح المجال المذهبي الذي تسبح فيه، ويعاد توليدها فيه. وشأن كل المذاهب المغلقة، فإن الوهابية تحوّلت الى أيديولوجية دينية لذاتها، فلا تسمح بفتح قنوات مثاقفة متبادلة أو تفاعل ثقافي مع الآخر. والسبب في ذلك كله، أن قوة الوهابية تكمن في قدرتها على توفير تحصينات والإنغلاق والتمحوّر على الذات، شأن كل مذاهب الأقليات في العالم. ولذلك، فلولا الدعم المالي السعودي لتلاشت الوهابية في خضّم التيارات المذهبية الإسلامية الكبرى.

لابد من الإشارة، إلى أن افتقار الوهابيّة لعنصري المراجعة والتجديد جعلها حبيسة مقولات مدرسيّة/مذهبية عتيقة، سوى ما يوفّر لها المال والإعلام من عنصري إدامة وتخليد. فالعمر، شأن الفوزان والبرّاك والجبرين وغيرهم، يكتفي بتوفير (دمغة) الإستمرارية للمقولات التكفيرية لإبن تيمية وإبن عبد الوهاب إزاء الفرق والملل الإسلامية. بكلمات أخرى، إن العمر، شارحاً كان أم قارئاً، لا يمدّ جمهوره وخصومه على السواء بأكثر من دليل بقاء الوهابية التكفيرية على قيد الحياة.

التوحيد: تأسيس التكفير

من أي نقطة بدأنا فيها الحديث عن عقيدة التوحيد بحسب التعريف الوهابي، يكون التكفير حاضراً بسطوة. ولأن عقيدة التوحيد، بالمعايير المرصودة في الأدبيات الوهابيّة، تمثّل حجر الزاوية في الرؤيّة الكونيّة

للمذهب، لا لكون التوحيد عقيدة ثانوية لدى المذاهب الإسلامية الأخرى، بل هي الأصل الأوّل من أصول الإعتقاد لدى المسلمين قاطبة بكل أطيافهم، ولكن لأنّ الوهابيّة فرضت تصوّراً خاصاً للتوحيد ونبذت أي تصور آخر عداه، ولذلك، فإن كل من لم يعتقد بالتوحيد وفق الفهم الوهابي يكون خارج مسمّى أهل السنّة والجمّاعة، وتالياً خارج دائرة الإسلام.

في قراءتنا المتواصلة لنتاجات شيوخ التكفير، يبرز الموقف اللاهوتي هذا كعامل حاسم وفاصل في التقويم، وكذلك التمييز بين المؤمن وغير المؤمن، واستطراداً تصنيف الأرض التي يقام عليها ما إذا كانت دار إيمان وسلم أم دار كفر وحرب.

في كلام الشيخ ناصر العمر عن التوحيد ما يلفت الإنتباه، لأن ما كان محسوماً بالنسبة للمسلمين قاطبة في أن الله سبحانه وتعالى هو الخالق والرازق له الأسماء الحسنى وهو المعبود لا إله سواه وهو رب الأرباب، ليس محسوماً في تقييم مشايخ الوهابية قاطبة بدءاً من الشيخ إبن عبد الوهاب وصولاً إلى الشيخ العمر ومعاصريه. بمعنى ما، أن مشايخ الوهابية لا يعتقدون بأن المسلمين يؤمنون بالله سبحانه وتعالى كما عرّف نفسه جلّ جلاله في كتابه العزيز، أو كما جاء على لسان أنبيائه ورسله.

في حديثه عن التوحيد، ينطلق العمر من أن كل بلايا الأمة من تخلف في العلوم الدنيوية إنما ناشيء عن (تخلي كثير من المسلمين عن صحيح معتقدهم..) وأن الحل، أي رفع البلايا يتوقف على (عودتهم إلى صحيح دينهم وسليم معتقدهم)[١].

لا يعني العمر بالمعتقد شيئاً آخر غير التوحيد، بحسب الفهم الوهابي، والذي على أساسه يتحدّد من هو المسلم. ففي محاضرة مشتركة بعنوان (نهج أهل السنة والجماعة في العقيدة والسلوك)، يرى الشيخ العمر بعد أن يروي حديث الإفتراق (..وستفترق أمتي على سبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة)، فسّر العمر كلام الرسول (ص) في الفرقة الناجية: (ما أنا عليه وأصحابي)، بأنها أهل السنة والجماعة، أي منهج السلف، وهو منهج الفرقة الناجية المنصورة. ويرى العمر خطورة تجزئة أهل السنة والجماعة، بحيث يتم فصل العقيدة عن غيرها من الموضوعات، ويرى بأن العقيدة هي أصل السنّة والجماعة، ثم يمضي في شرح التوحيد والتقسيم الوهابي لمفهوم التوحيد..[٢].

في السياق، يبدو كتاب (التوحيد أولاً) للشيخ ناصر العمر، الأكثر إثارة للجدل، بسبب لغته الجازمة والصارمة، حيث يرسي بوضوح، أساس العلاقة في الداخل الإسلامي، أي بين المسلمين بعضهم ببعض، وبين من يصدق عليهم مسمّى (المسلمين) وغيرهم من أتباع الديانات الأخرى.

وفي تقديم الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن الجبرين تلخيص لرسالة الكتاب. يقول ما نصّه: (أن التوحيد العملي القصدي الارادي الطلبي الذي هو توحيد الألوهية هو الذي دعت إليه الرسل، وأنزلت به الكتب، وجردت لأجله سيوف القتال، ووقعت فيه الخصومة بين الرسل وأممها.

وأنه مع هذه الأهمية قد وقع فيه الخلل والنقص، وقد تهاون به الكثير من الجماهير مع ادعائهم التوحيد، وأن الكثير تجاهلوا ببعض ما ينقصه، وتساهلوا في بعض الشركيات زعماً منهم جوازها أو عدم منافاتها للتوحيد، وأفاد أن هذا خطأ كبير..

ولا شك أن هذه الرسالة من الأهمية بمكان فنهيب كل مسلم أن يقرأها ويطبقها على نفسه، ويدعو إلى العمل بها بعد معرفتها رجاء أن تصلح أحوال المسلمين، ويعودون إلى توحيد الخالق وتعظيمه وحده، وتصغر المخلوقات في نفوسهم..)[٣].

إذاً، فإن التوحيد، كما يريد بيانه العمر وأفصح عنه الجبرين، ليس هو ما يؤمن به الكثير من المسلمين، وأن هدف كتاب العمر هو إصلاح عقيدة المسلمين كيما (يعودون إلى توحيد الخالق وتعظيمه وحده..). يقول العمر: "واليوم تشتد الحاجة لإنقاذ الأمة، وإخراجها من ظلمات الجهل والتخلف، إلى نور العلم والإيمان"[٤].

والكتاب في مجمله نسج على منوال الكتب الوهابية في التوحيد، القائم على ثالوث توحيد الالوهية، وتوحيد الربوبية، وتوحيد الأسماء والصفات، وأن المسلم الحق هو من يؤمن بالتوحيد بحسب ما عرّفه علماء الوهابية وبالتقسيم الوارد هنا، فلا ينفع المسلم زعمه بالايمان بالله سبحانه، كما لا تنفعه صلاته ولا صيامه وحجّه وزكاته وغيرها من الفرائض، إن لم يكن التوحيد بأركانه الثلاثة قد استوطن صميم القلب. يقول العمر: "ولأجل هذا التوحيد خلقت الخليقة وأرسلت الرسل، وأنزلت الكتب، وبه افترق الناس إلى مؤمنين وكفار، وسعداء أهل الجنة، وأشقياء أهل النار". ثم يستدرك "ولا بد مع توحيد الألوهية من الإتيان بلازمه من توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات"[٥]. ويقول في مكان آخر بأن (هذا التوحيد ـ أي توحيد الصفات ـ لا يكفي في حصول الإسلام، بل لا بد مع ذلك من الإتيان بلازمه من توحيد الربوبية والألوهية)[٦].

في ضوء ما سبق، ينتقل العمر الى بيان ما يصفه (واقع الأمة اليوم)، ما يتطلب حسب قوله (وقفة مناسبة مع واقع الأمة ليتضح لنا مدى التزامها بالتوحيد أو بعدها عنه)، ويلفت إلى أن (بعض طلاب العلم قد لا يتصور خطورة الأمر، نظراً لأنه يعيش بين أناس هم على عقيدة التوحيد، وتقل بينهم البدع والشركيات، فيتوهم أن أغلب المسلمين هم على هذه الحالة، بينما الحقيقة بخلاف ذلك)[٧].

وأرجع العمر إنحراف الأمة عن عقيدة التوحيد الى أسباب من بينها: دور الشيعة (أو الرافضة حسب وصفه)، الذي قال عنهم بأنهم (يضيقون ذرعاً بدعوة التوحيد)، في إشارة واضحة الى الدعوة الوهابية، فلم يقل (عقيدة التوحيد). ما يلفت في كلام العمر أنه ذكر دور الشيعة في انحراف الأمة عن عقيدتها، ولكنّه راح يتحدّث بإسهاب عن نشاط الشيعة في قارات العالم في مقابل نشاط الدعوة الوهابية، وكأنه يريد القول بأن التوحيد صار امتيازاً وهابياً، وأن الأمة لن تؤمن بعقيدة التوحيد إلا إذا أذعنت لنهج الشيخ ابن عبد الوهاب في فهم التوحيد.

سبب آخر ذكره العمر وهو (الخرافيون وتأثيرهم الذي لا ينكر)، دون تحديد هوية هؤلاء الخرافيين. يقول العمر ما نصّه:

(معارك الخرافيين مع التوحيد ليست جديدة، وسعيهم الحثيث لتأصيل البدع ونشر الشرك في بلاد المسلمين يعرفها القاصي والداني، وخدمتهم للاستعمار قديماً وحديثاً ليست بحاجة إلى شرح أو بيان، والذي يتأمل خارطة العالم الإسلامي، ويضع لوناً مميزاً للمناطق التي يكثر فيها هؤلاء يذهل من النتيجة التي سيراها).

بل راح العمر يسهب في بيان طبيعة نشاطاتهم وحجم انتشارهم وبالأرقام دون أن يفصح عن إسم الخرافيين وأماكن تواجدهم، ولم يبد سلفاً سبب إخفاء الإسم، وما إن كان له علاقة بإفشاء أسرار خاصة، أم خشية افتتان الآخرين بهم، أم الإحتقار المعتاد من شيوخ الوهابية لخصومهم. يقول العمر (وقد نشطوا في الآونة الأخيرة، وأقاموا عدداً من المؤسسات التي تدعوا إلى منهجهم وتنفق على مشاريعهم بسخاء). ولبيان الخطر المزعوم/الموهوم، يذكر العمر (أن مؤسسة واحدة من مؤسساتهم قد خصصت ما يعادل (٥٠٠) مليون ريال لإنفاق استثمارها وريعها على ما يدعم منهجهم وعقيدتهم، وفي إحدى البلاد الإسلامية بلغ عدد المسجلين في الجمعيات الخرافية أكثر من خمسة ملايين عضواً)[٨].

السبب الثالث، بحسب العمر، هو الخوارج، فبعد أن يذكر طرفاً من سيرتهم في التاريخ الإسلامي وخروجهم عن منهج أهل السنة والجماعة،

حسب قوله، يقول بعد ذلك (..وفي هذا الزمن عادت سوق الخوارج رائجة، وبخاصة مع وجود دولة تدعمهم وتدافع عن مذهبهم وتربي الناس على منهجهم)[٩]. وليس سراً، أن العمر يومىء الى الأباضية في عمان، الذي نالوا من فتاوى التكفير الوهابي نصيباً كبيراً.

السبب الرابع، هو الشركيات والبدع المنتشرة في العالم الإسلامي يقول (ولو ألقينا نظرة سريعة على واقع البلاد الإسلامية لوجدنا في كل بلد قبراً أو أكثر يعبد صاحبه من دون الله..). ثم يسأل (فكم عدد الذين يزورون القبور من أهل البدع في أنحاء العالم الإسلامي؟)[١٠]. فكم بلد إسلامي جرى وصفه ببلاد الشرك لمجرد فيه قبور للأولياء والصالحين وأن الناس تأتي لزيارتها، وقراءة القرآن عند القبور، والاستلهام منها، فقد عارض مشايخ الوهابية إرسال الملك عبد العزيز إبنه سعود لمصر، لأنها بلاد شرك وقبور، لمجرد أن فيها أضرحة ومقامات تقصدها جموع غفيرة من المصريين.

السبب الخامس، بحسب العمر، هو وجود النصارى في كثير من الدول الإسلامية، بل حتى في دول الخليج، حتى إنه يوجد لهم كنائس معلنة في بعض تلك الدول..[١١].

وهناك أسباب أخرى ذكرها العمر مثل وجود الوثنيين، والسحرة، والمشعوذين، وانتشار بعض الألفاظ البدعية أو الشرعية وأعمال محرّمة كالحلف بغير الله، والإعتقاد بأن غير الله ينفع أو يضر، وأعياد الميلاد، وتعليق التمائم، وقراءة الكف، والإعتقاد بأثر الأبراج والنجوم..

ثم يخلص للقول (هذه صورة مجملة عن واقع العالم الإسلامي تبين خطورة الأمر، ووجوب المبادرة إلى إنقاذ هؤلاء، سواء أكانوا ممن وقع في الشرك، وهم يحسبون أنهم مسلمون؛ لأنهم يصلون ويحجون، أم كانوا ممن وقع في البدع والخرافة، ويظنون أنهم من أهل السنة والجماعة). إذاً هكذا هي الرؤية الكونية لدى العمر والوهابية بصورة عامة، وهي تعكس الموقف العقدي من المسلمين عموماً. ثم يرسم العمر خارطة طريق لإصلاح الإنحراف العقدي في الأمة (ولو توجهت هذه الصحوة المباركة إلى العناية الفائقة بهذه القضية لتغيّرت الأحوال، وهذا لن يكون إلا إذا كانت هناك أولويات وكان "التوحيد أولاً")[١٢].

ويرصد العمر في تأمّله لأحوال المسلمين (ضعف الولاء للمؤمنين والبراء من الكافرين) ويقول (وهذا ينافي كمال التوحيد، وقد يصل بصاحبه إلى الكفر)(١٣). يقول أيضاً (وفصل الدين عن الدولة، وإبعاد حكم الله وشرعه أن يكون حاكماً على الناس هو السائد الآن في أغلب بلاد المسلمين، حيث يحكمون بشرائع وقوانين بشرية ما أنزل الله بها من سلطان، وهناك من يهون من هذا الأمر ويقلل من شأنه مع أنه كفر بواح)[١٤].

الخلاصة، أن كل من لا يؤمن بالتوحيد بأقسامه الثلاثه ليس مسلماً. بل قال عنهم العمر بأنهم (كلهم مخطئون، بعيدون عن الصواب، وذلك أن التوحيد أشمل مما ذهب إليه هؤلاء، فمن أخلّ بقسم من أقسام التوحيد فقد أخل بالتوحيد . ولابد من فهم التوحيد فهماً شاملاً بأقسامه الثلاثة ومستلزماتها)[١٥].

وحتى إذا أقرّ العمر بإسلام كثير من المسلمين على أساس أنهم مدركون لعقيدة التوحيد وأقسامها، فإنه يجد سبباً آخر لضعف إيمانهم بالتوحيد، هو عدم ترجمة التوحيد في السلوك العام للمسلمين (وعند التأمل في واقع كثير من المسلمين يجد الإنسان أنه لا ينقصهم العلم المعرفي، فقد تجد الكثير منهم يعرف التوحيد بأقسامه وتفصيلاته، ولكن عندما نبحث في مدى تأثره وجدانياً لا نلمس أي أثر لذلك، أو قد نجد أثراً ضعيفاً لا يتناسب مع علمه ومعرفته)[١٦].

يطالب العمر بجمع الأمة على أساس التوحيد، بالمفهوم الوهابي. ويقول بأن (جمع الكلمة وتأليف القلوب مطلب شرعي وهدف سام، ولكن مما يلحظ في هذا الجانب أن هناك من يذكر أن الاجتماع مراد لذاته، بغض النظر عما ينتج منه، وهذا خطأ في الفهم وقصور في التصور؛ لأن الهدف هو الاجتماع على كلمة الحق..). إذن هو اجتماع، أو بالأحرى وحدة مشروطة، فطالما أن المسلمين لم يحققوا في أنفسهم معنى التوحيد الوهابي، يصبح الإجتماع لغواً، وعبثاً، ويوضّح ذلك، بقوله (والذين جعلوا الإجتماع هو الغاية والهدف، تساهلوا في أمر التوحيد، ولم يجعلوه من الأصول التي يجتمعون عليها، بل تجد بعضهم يمنع أتباعه من إثارة قضايا العقيدة، بحجة أن هذا الأمر سيكون عائقاً أمام وحدة كلمة المسلمين، وتوحيد الصفوف، بل لا يخجل بعضهم أن يقول: إن طرح مسائل العقيدة تؤدي إلى الفرقة والخلاف..)، وينقل العمر رأي الشيخ عبدالعزيز قاري (رسالة العقيدة أولاً لو كانوا يعلمون) في هذه المسألة: (إننا وجدنا أنفسنا أمام طوائف تنتسب إلى العلم والدعوة والتوجيه تخالفنا وتنازعنا في هذا المبدأ)[١٧].

نلفت إلى أن العمر قام بإجراء تغييرات على محاضرة (التوحيد أولاً) قبل أن يتم طباعتها في هيئة كتاب، وكان قد ذكر في المحاضرة كلاماً فيه تكفير صريح لمرتكب الكبيرة، بل تبنّى تكفير العموم. وقال مخاطباً جمهوره (تصوّر أن المنكرات الموجودة في مجتمعنا مجرد معاصي، كثير من الناس يتصوّر الآن أن الربا مجرد معصية أو كبيرة، والمخدرات والمسكرات مجرد معصية ، والرشوة مجرد معصية أو كبيرة من الكبائر ، لا يا إخوان، تتبّعت هذا الأمر، فوضح لي الآن أن كثيراً من الناس في مجتمعنا استحلوا الربا ـ والعياذ بالله ـ أتعلمون الآن في بنوك الربا في بلادنا زادوا عن مليوني شخص، بالله عليكم هل كل هؤلاء الملايين يعرفون أن الربا حرام ولكنهم ارتكبوها وهي معصية، لا والله، إذن من الخطورة الموجودة الآن بسبب كثرة المعاصي أن الكثير قد استحلوا هذه الكبائر)[١٨].

في هذا النص مخالفات جمّة، فهو في الوقت الذي ينطوي ليس على مجرد حكم بكفر العموم، بل ينزلق نحو الإيغال في سبر النوايا بطريقة عابثة، فقد كفّر العمر كل من تعامل مع بنوك الربا بحجة استحلال الربا، بناء على اعتقاد قاطع لدى العمر بأن الجميع يدرك حرمة التعامل مع البنوك الربويّة، وأن ما دفع بهم الى فعل ذلك سوى لصدروهم عن استحلال التعامل الربوي ابتداءً. والسؤال: كيف علم بذلك كله؟ فهل فحص نوايا ملايين من البشر ليعرف ما اذا كانوا بالفعل قد استحلّوا، وبصورة إفرادية وإرادية، التعامل الربوي، وإذا كان الحال كذلك، فلا بد أن يكون أغلب المسلمين قد استحلوا محرّمات كثيرة، ولا حاجة للأنبياء والمرسلين والمبشرّين والمنذرين والدعاة والمبلّغين، مادام لا مكان للغفلة، والنسيان، والإجتهاد، والتأويل، وتبدّل الأزمان والأحوال.

في محاضرة له بعنوان (التوحيد واعتزال مواطن الفساد)، على أساس التأمل في أبعاد قصة أصحاب الكهف وإسقاطها على الواقع الراهن، يقول العمر، وهي أن سبب نجاة الفتية الذين آووا إلى الكهف هو التوحيد، ما يلفت إلى أن إسقاط قوم أهل الكهف على أقوام المسلمين في الوقت الراهن، فيما يصبح الوهابيون هم أصحاب الكهف، والمشترك بينهم هو التوحيد. ولعل أخطر ما أورده العمر في مقالته هي القصة التي نقلها على النحو التالي:

قرأت قصة جميلة وعجيبة لشيخنا العلامة الشيخ: محمد بن إبراهيم مفتي الديار السعودية أرسلت له جامعة الدول العربية، قبل سنوات – قديمة – ملفاً، إن جامعة الدول العربية بحكم مسؤوليتها عن الدول العربية، تريد أن تعقد مؤتمراً لنقاش توحيد الأهلة بين الدول العربية في رمضان، لأنكم تلاحظون أحد يصوم اليوم الفلاني والثاني يصوم الذي بعده أو قبله، نريد أن نوحّدهم في يوم واحد، ونريد رأيك ياشيخ فيما كتب، وأن ترسل مندوباً

يشارك في هذا المؤتمر، أنظروا كيف ردّ عليهم هذا الإمام العلامة الفقيهة ماذا قال؟ قال لهم اختلاف الرؤية قديم، من وقت الصحابة - إختلاف مطالع الأهلة - ليس مشكلة، لكن إن كنتم جادين في جمع الدول العربية فاجمعهم على لا إله إلا الله، أحوج ما تحتاج إليه الأمة العربية والإسلامية على أن تجمع على لا إله إلا الله، ومحمد رسول الله، لا أن تجمع على توحيد الأهلة، أو المواقف السياسية[١٩].

لم يخطيء العمر في نقل القصة، ولم يخطيء أيضاً في مقصده، خصوصاً حين نقرأ تعليقاً له بعد القصة سالفة الذكر، يقول العمر: منذ كم أنشئت جامعة الدول العربية؟ الآن لها قرابة أكثر (٦٥ عاماً)، هل رأيتم أو علمتم عن مؤتمر لجمع الناس على لا إله إلا الله في الدول العربية، وأن من يخالف ذلك سيعاقب بكذا وكذا؟!

فالعمر، كما الشيخ محمد بن إبراهيم، يرى بأن المسلمين لا يدركون حق معنى شهادة لا إله إلا الله، وبحسب أصولها، وتالياً فإنهم ليسوا على الإسلام الصحيح، بل إن مقولة العمر بأن (الأنبياء جميعاً يدعون إلى لا إله إلا الله)، تحمل دلالة بالغة بأنّ ثمّة مهمّة مطلوبة بإعادة دعوة المسلمين إلى الإسلام على أساس الفهم الوهابي لعقيدة التوحيد، أي تطبيق دعوة الأنبياء على أقوامهم، وتطبيق حالة فتية الكهف في قومهم وما كانوا عليه (من شرك ومن كفر) حسب قوله. ويخلص العمر للقول (اليوم المجتمعات تعيش معاصي وآثام قد يصل في بعض المجتمعات المسلمة إلى الشرك! كما هو مشاهد..).

يقول العمر في ضوء تأملاته في سورة الكهف (السورة مليئة بتصحيح القيم، قيم كانت من موروثات الجاهلية فجاءت سورة الكهف تصحّح هذه القيم..). ثم يخلص للقول (فعلينا أن نعرض قيمنا الموجودة الآن في مجتمعنا، هل هي تتوافق مع القيم الحقيقية التي تقررها سورة الكهف؟ أو لا؟ أو هي من آثار قيم الشرق والغرب والجاهلية وغيرها، فلنعدّلها)[٢٠].

في التفصيل كلام خطير وعلى درجة كبيرة من الأهمية بالنسبة للباحث في الفكر الوهابي. فالمطارحات بطبيعة سجالية كما يقدّمها مشايخ الوهابية لا تبتغي شيئاً آخر سوى إثبات أنهم وحدهم مصداق الفرقة الناجية، وأن ما عليه باقي المسلمين إنحرافات لا بد من تصحيحها بالعودة إلى عقيدة التوحيد، وفق المنهج الوهابي.

في الكلام عن المنهج يطرح العمر سؤالاً كبيراً: أي منهج أسلم؟، وللتوضيح، فإن سلامة المنهج وسقمه لا تخضع لمعيار الخطأ والصواب، بل تتّصل في نهاية المطاف بالإيمان والكفر. العمر يستدرك على كلام لسائل أنكر نصّاً سمعه عن من وصفهم بـ(المبتدعة في العقيدة) يقولون: مذهب السلف أسلم ومنهجنا أعلم وأحكم، فسأل: هل تعلمون مصدر القول في كتبهم؟ فأجاب العمر بما يؤكّد كلام المبتدعة ودفاعاً عنهم، بل اعتبرهم (أهل الحق من أهل السنة والجماعة)، وقال:(أما من يذكر أن منهج السلف أسلم، فبعضهم يريد أنه أسلم وأعلم، وهذا حق، فهؤلاء يعنون به أن غيرهم خرج عن طريق السلامة..). بطبيعة الحال، أن السلف المقصودون هنا هم، بعد عصر الصحابة، كل عالم ينتمي إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل والشيخ إبن تيمية وتلامذته وصولاً الى الشيخ محمد بن عبد الوهاب المتنزّلين من مدرسته[٢١]. وقد رسم العمر خط السلف بعد عصر الخلفاء والتابعين بطريقة جعل فيها الخط الحنبلي هو الإمتداد الطبيعي لهم. فبعد أن ذكر الخلفاء الراشدين ثم التابعين من أمثال عمر بن عبد العزيز وهارون الرشيد قال (وتمعّن في مواقف الأئمة كأحمد بن حنبل، والعز بن عبد السلام، وابن تيمية، والمجدد محمد عبد الوهاب، وغيرهم من العلماء والمصلحين، وانظر في فتاوى الشيخ محمد بن إبراهيم، ورسائل الشيخ عبد الله بن حميد، تجد سعة الأفق، وبعد النظر، وفقه الأحداث والنوازل)[٢٢].

وهنا نقف عند الموقف اللاهوتي لدى العمر من التكفير، حيث يبدي، شأن مشايخ وهابية آخرين يتناولون الموضوع نفسه، مرونة مفتعلة كونه يطرق قضية تتطلب توازناً نفسياً وعقدياً. ففي هذا المقام، يصبح العمر مرشداً متسامحاً، وواعظاً منفتحاً، بخلاف الأماكن الأخرى التي يكشف فيها العمر عن شدّة وغلظة.

في التكفير وضوابطه، بدأ العمر بموقف عقدي حاسم، حين نقل ما اعتبره مقرّراً عند أهل العلم، بأن التكفير منه واجب لا يكون إيمان العبد إلاّ به (كالحكم بكفر اليهود والنصارى وغيرهم من الكفّار الأصليين الذين لا يدينون دين الحق ولم ينتسبون إليه، وفي حكم المرتدون الذين أعلنوا الردّة وقامت عليهم الحجّة)[٢٣].

المقدّمة النقدية التي أوحت بأن العمر يسعى إلى نزع سلاح التكفير مطلقاً وبصورة دائمة، عاد لاحقاً ليوجّه نقداً لمن ذمّ التكفير، وقال عنه بأنه (على خطر)، وذكّر بالمقولة الدراجة (تكفير من اقتضى كفره..). ولذلك، شأن علماء آخرين إنغمسوا في تكفير الآخر، ينزع سلاح التكفير من عموم الناس (أو بالأحرى جهّالهم فحسب)، ويضعه في يد من يعتقد العمر وأمثاله، بأنه قد (تمكّن في العلم)، وهنا كلام آخر، لأن السؤال التالي: من يصدق عليه مسمّى العالم؟ فهل العمر أحدهم، وبالتالي يجوز له إطلاق أحكام التكفير والردّة على من يخالف ما يراه في أحد موضوعات الدين والشريعة، ولماذا ينحصر من يحق له تحديد ما يكفّر به وما لا يكفّر في شخص بعينه، وكذلك تحرير الأعذار الشرعية وعوارض الأهلية والنظر في الأعذار وغيرها من الأسباب التي تدخل في باب الحكم بإيمان إنسان ما وكفره؟!

العمر، شارحاً كان أم قارئاً، لا يمدّ جمهوره وخصومه على السواء بأكثر من دليل بقاء الوهابية التكفيرية على قيد الحياة

العمر في الوقت الذي يحظر على طلبة العلم مزاولة وظيفة تكفير الآخر، لم يحرمهم من تكفير من كفّرهم العلماء ابتداءً أو أثبتوا كفره مثل الشيعة بأطيافهم الإمامية والزيدية والاسماعلية، والإباضية، والصوفية، والمعتزلة والجهمية وغيرهم. فهو يشرح مقولة (من لم يكفر الكافر فهو كافر) بأن ذلك فحسب (في من ثبت كفره ابتداء كالكافر الأصلي، أو ثبت كفره كالمرتد بعد إقامة الحجة من أهل الشأن عليه..). فإذا حرم طالب العلم من التكفير، فهل يجوز له مراجعة أحكام التكفير التي أصدرها العلماء، أم أن المطلوب هو تأهيل طلبة علم بمثابة نسخ متماثلة، يجترّون المقولات نفسها، وإن أقصى ما يمكنهم إضافته هو مصاديق جديدة على ما قرّ من أحكام في موضوعات سابقة.

وكما يبدو، فإن المشكلة التي يحاول العمر معالجتها تقتصر على التكفير وسط طلبة العلم، وليس وسط العلماء، بل حتى استعمال التكفير من قبل طالب العلم لا يقاربها عقدياً بل يحاول تقصي آثارها الإجتماعية وما قد تؤول إليه من مخاطر عليه وعلى المجتمع.

وقد سئل العمر: هل التكفير فتنة وجريمة أم أنه دين ندين الله به؟ وسئل أيضاً: إذا تبيّن لي كفر نظام أو منهج أو حتى معيّن فهل يجوز لي أن أتوقّف عن تكفيره.. ثم إذا عاملته معاملة الكافر فهل أنا آثم، وهل ما يراه غيري من المصلحة ملزم لي خصوصاً وإن كان هناك غيرهم من أهل العلم من يرى المصلحة بالضد من رأي الأولون؟

أجاب العمر عن التكفير بقوله: ..فإن كان التكفير وفق الأصول

الشرعية، وقد صدر من العلماء المشهود لهم بالعلم والمرجعية فليس بفتنة بل حكم شرعي، دلت عليه أدلت الكتاب والسنة، ولا بد من الحكم به على من يستحقه كاليهود والنصارى والمشركين والمرتدين، خلافاً لما يطرح في بعض وسائل الإعلام المطالبة بإلغاء هذا الحكم الشرعي والتشنيع على من يقول به).

واعتبر تكفير اليهود والنصارى والمشركين والمرتدين واجب، بحسب الظاهر وأضاف (بل نصَّ علماؤنا على أن من المكفِّرات عدم تكفير مثل هذا). أما تكفير المسلم فيقول العمر (فهو الذي يرجع إلى حكم أهل العلم الراسخين فيه، الذين يعلمون الأصول الشرعية، وضوابط التكفير، وموانعه، فهؤلاء هم أهل تحقيق مناطه لا العامة وطلاب العلم في الغالب..). والخطورة هنا، كما يكشف عنها نصّ آخر (أما بخصوص ما إذا تبين لك كفر إنسان أو نظام فلا يجوز التوقف في تكفيره، ويجوز لك ألاّ تعلن ذلك للناس وأن تكتمه مراعاة للمصالح والمفاسد، أما التوقّف فهو منهج بدعي، فالناس إما مسلم أو كافر، والمنزلة بين المنزلتين منهج المعتزلة)[٢٤].

في محاضرة له بعنوان (تفجير الكنيسة وتفجير المسلمات) بتاريخ ٢٩ محرّم ١٤٣٢هـ، عقب تفجير كنيسة الأسكندرية والتي أحاطت الإتهامات عناصر من الجماعة السلفية في مصر، بدا الشيخ ناصر العمر في موقع دفاعي غير معهود، وتخلّى عن لهجة التشدد التي تطفح حين يكون الكلام عن الشيعة أو الصوفية أو غيرهم من الفرق المصنّفة في قائمة أهل الشرك والكفر. والسبب، أن ثمة تداعيات كبيرة على التيار السلفي وعلماء المؤسسة الدينية السلفية وعلى الحكومة الراعية للسلفية. فهو يدعو الى التثبّت وعدم التسرّع قبل أصدار الأحكام، ويحذّر من إلقاء الأحكام جزافاً.

إجتماع المسلمين وتوحّدهم مشروطان، فطالما أن المسلمين لم يحققوا في أنفسهم معنى التوحيد الوهابي، يصبح الإجتماع والتوحّد لغواً، وعبثاً بنظر العمر

ثمّة أمّة من نوع خاص يتصوّرها العمر، أمة يكون أفرادها متماثلين عقدياً. فهو يدعو من جهة ما إلى ألغاء التباين، وتقويض التعددية المذهبية في المجال الإسلامي لناحية توحيد الأمة على أساس مذهبي. بل يرى العمر بأن التوحيد بالمفهوم الوهابي وحده السبيل الى توحيد الأمة، ويعتب على الدعاة الذين لا يرون ذلك. يقول (فالغاية من خلق الخليقة التوحيد، والهدف من بعثة الرسل الدعوة إلى التوحيد، ومع ذلك نرى من منتسبي الدعوة من يدعي أن التركيز على التوحيد والبداءة به قد يكون عائقا أمام وحدة الأمة..). ويوضّح العمر ذلك (فجمع الكلمة وتأليف القلوب مطلب شرعي وهدف سام، ولكنه غير مراد لذاته بل لمعاني.. لأن الهدف هو الاجتماع على كلمة الحق، لنصرة الحق..). ثم يقول (والذين جعلوا الاجتماع هو الغاية والهدف، تساهلوا في أمر التوحيد..). ويخلص في نهاية المطاف للقول (لابد أن تبنى الدعوات والتجمعات على أصول وثوابت منبثقة من عقيدة التوحيد، ملتزمة بمنهج أهل السنة والجماعة). باختصار (ولذلك فلابد عند التوحيد أن يكون (التوحيد أولاً) وإلا فلا)[٢٥].

ثمة موقف لاهوتي لدى العمر يفصح عنه بقصد أو خلافه، ولكن لطالما تكرّر في كتاباته ومحاضراته وبياناته، منها قوله (ويزداد ألمي عندما أجد أن كثيرا من المنتسبين للإسلام، والإسلام منهم براء). ويقول في مكان آخر (والمسلمون الآن في مشارق الأرض ومغاربها-إلا من عصم الله- يُحكمون بقوانين الشرق والغرب، بقوانين اليهود والنصارى والوثنيين، ولكنهم لا يخضعون لحكم الله)[٢٦].

وفق هذه الرؤية العقدية النمطية عن المسلمين لدى العمر، فإنه يرفض فكرة الوحدة الاسلامية، ما لم تقم على أساس التوحيد، الأمر الذي يعني تماهي المسلمين مع المذهب الوهابي، إذ لا معنى لوحدة ليست مؤسسة على التوحيد بالمفهوم الوهابي.

في محاضرة بعنوان (رمضان ودروس التوحيد)، يؤكد على أهمية تعلّم التوحيد وفق المنهج الوهابي، حيث اعتبر وجود الصليبيين والعلمانيين واليهود والنصارى خطراً على الإسلام، (وحري بنا ونحن على المذهب الحق والعقيدة الصحيحة أن نحصّ أنفسنا بالتوحيد) بأركانه الثلاثة: توحيد الألوهية، وتوحيد الربوبية، وتوحيد الأسماء والصفات. ويوصي بتعليم الناس الأصول الثلاثة، وأن يقرأ كتاب (التوحيد) للشيخ محمد بن عبد الوهاب في المساجد. كل ذلك، لأن الامة تواجه عدواً شرساً وتواجه حرباً دينية[٢٧].

وشأن مشايخ سابقين قد تعرّضنا لهم سابقاً، من أن لا معنى لكثرة المسلمين إن لم تكن الكثرة قائمة على التوحيد، ودائماً بالمفهوم الوهابي. في محاضرة له بعنوان (تكثير الأتباع بالوحي لا بالإبتداع) يقول فيه (ومما ينبغي أن نتنبه له.. أن كثرة الأتباع، وحشد الجماهير، وتكثير السواد قد يحصل بعضه بالباطل، وقد يكون شيء منه بالتنازل عن الدين، غير أن الكثرة الكاثرة والسواد العظيم المبارك لايمكن جمعهم إلاّ على الوحي الذي يؤلف بينهم..). ويعود للنقطة الجوهرية في مطارحته ضد الرؤية العقدية المتسامحة التي لا ترى بأن الوحدة لا تقوم إلا على عقيدة التوحيد، ويقول (إن تمييع الدين والتنازل عن بعض الثوابت قد يجمع حول الداعية خلقاً بعض الوقت، ثم لا يلبس ذلك الجمع أن ينفض..)، ثم ينتقل الى الواقع الإسلامي (ولو تأملنا في حال المجددين والمصلحين الذين تبعتهم الأمة ورفع الله ذكرهم فيها منذ القرن الأول وإلى اليوم، وجدناهم جميعاً مما يعنون بالوحي وإقامته بين الناس..أما غيرهم فسيضمحل ولو بعد حين..). فالصورة كما يراه العمر في تلك المطارحة تكون على النحو التالي (فإن لم تقم للحق دولة تنصره وترعاه، بل مات أهله في الأغلال والسجون فهو أتمّ لأجرهم، والله يرفع ذكرهم، كما رفعوا دينه الخالص، وتأمل قول بعض السلف: قولوا لأهل البدع: بيننا وبينكم الجنائز! مات أحمد بن حنبل فتبع جنازته أهل بغداد، ومات ابن تيمية فتبع جنازته أهل الشام... ومات ابن أبي دؤاد رجل الدولة فما تبعه عدد يذكر! مع أنه كان جواداً ممدحاً وكانت العامة والخاصة -سوى قلة- كانت تظهر له الموافقة خوفاً من بطش السلطان..)[٢٨].

تركيز العمر على نقد مبدأ الأكثرية، أسوة بمشايخ وهابيين سابقة، يشي بصورة غير مباشرة بعدم إقرار بإسلامها. هكذا أيضاً تكشف النصوص التي توسّل بها لذم مبدأ الأكثرية، وفي نهاية المطاف إدانة الوحدة الاسلامية التي لا تقوم على عقيدة التوحيد بالمفهوم الوهابي. في محاضرة له بعنوان (الحرص على تكثير الأتباع يذم أصلاً ويمدح فرعاً)، استعرض أحوال الأنبياء السابقين وخصوصاً عيسى وموسى ومحمد صلوات الله عليهم أجمعين، وكيف أن كثرة أتباع عيسى عليه السلام، بحسب العمر، لم تجعله كثرة لقلّة المؤمّنين حقاً برسالته، فقد (لا يجد المتبع للوحي الداعي إليه من يتبعه، لا لخلل فيه وإنما لخلل في مجتمعه ومدعويه..)، حسب العمر.

ماسبق يؤسّس للموقف العقدي لدى العمر إزاء أمة المسلمين، التي تخضع لعملية فحص دقيق (فقد تجد بعض أهل البدع أو أهل الفسق

الذين ضعف تمسّكهم بالوحي واتباعهم له قد تجد أحدهم تتبعه جمهرة، وتحتفي به ثلة لا تعبأ ببعض متبّعي الكتاب والسنة، وقد يكون ذلك غير راجع إلى خلل في الداعين ولكن إلى أن تلك الجمهرة لم يرد الله بها ذلك الخير الخاص الخالص..)، ثم يقدّم نصيحة مريحة للدعاة (فلا تغتر بكثرة الأتباع واعرض دعوتك دائماً على الوحيين، وقيمها بناء على ما أفاداً، واعلم بأن الحق ظاهر منصور..). ويشرح ذلك، ودائماً وفق الرؤية الكونية العقدية الوهابية، بأن على الداعية أن يحرص على الإلتزام بخط الدعوة وتحقيق مقصودها (فليس الأصل هو اتباعهم ـ أي الجمهور ـ له في أي طريق وبأية وسيلة، ولكن اتباع الوحي المنزل على يديه..)[29].

وكلام العمر له أصل لدى السلفيين الأوائل من أمثال إسماعيل الصابوني (من علماء القرن الرابع الهجري) (ولا يغرّنّ إخواني كثرة أهل البدع، فإن ذلك من أمارات اقتراب الساعة) وذكر حديثاً ينص (من أشراط الساعة أن يقلّ العلم ويكثر الجهل)، وقال: العلم هو السنّة والجهل هو البدعة[30].

إن طبيعة الوحي الذي عناه العمر في كلامه هو التظهير العقدي والمذهبي للنهج السلفي. وقد سئل الشيخ مقبل الوادعي عن: المنهج السلفي في الحكم على فرقة أو جماعة بأنها جماعة، ومتى يمكن إخراجها من دائرة أهل السنة والجماعة، فأجاب:

منهج أهل السنة والجماعة هو الالتزام بالكتاب والسنة على فهم السلف الصالح[31].

وكان الصابوني يستعمل أسماء متعددة لجهة واحدة، فحين يقول أئمة الدين، وعلماء المسلمين، والسلف الصالحين، وأهل الحديث، وأهل السنة والجماعة فإنما يقصد بهم فئة محدّدة تنتمي الى الخط الحنبلي حصرياً. توضيح ذلك ذكره الشيخ محمد السفاريني (١١١٤ ـ ١١٨٨هـ) ما نصّه (المراد بمذهب السلف ما كان عليه الصحابة الكرام رضوان الله عليهم وأعيان التابعين لهم بإحسان، وأتباعهم وأئمة الدين ممن شهد له بالإمامة وعرف عظم شأنه في الدين وتلقى الناس كلامهم خلف عن سلف دون من رمي ببدعة أو شهر بلقب غير مرضي عنه مثل الخوارج والروافض والقدرية والمرجئة والجبرية والجهمية والمعتزلة والكرامية، ونحو هؤلاء..)[32].

وبحسب السفاريني، فإن مذهب السلف ينسب إلى أحمد بن حنبل، وهو (المذهب المأثور والحق الصابت المشهور لسائر أئمة الدين وأعيان الأمة المتقدّمين..) ثم قال (هذا مذهب أئمة العلم وأصحاب الأثر المعروفين بالسنة المقتدى بهم فيهان وأدركت من أدركت من علماء العراق والحجاز والشام عليها، فمن خالف شيئاً من هذه المذاهب أو طعن فيها أو عاب قائلها فهم مبتدع خارج عن الجماعة زائل عن سبيل النة ومنهج الحق) وخلص (وهو مذهب الإمام أحمد وإسحاق وبقى بن مخلد وعبد الله بن الزبير الحميدي وسعيد بن منصور وغيرهم)[33].

وقال عن مذهب السلف بأنه (المذهب المنصور، والحق الثابت المأثور، وأهله هم الفرقة الناجية، والطائفة المرحومة، التي هي بكل خير فائزة ولكل مكرمة راجية، ومن الشفاعة والورود على الحوض ورؤية الحق وغير ذلك..)[34].

فمن هو غير السلفي إذاً؟، يجيب الشيخ مقبل الوادعي (..فإذا ارتكب البدع.. وإذا خرج عن منهج السلف إما إلى التصوّف، أو التشيع أو إقامة الموالد أو الترحيب بالقوانين الوضعية، أو الولاء الضيق كالحزبية، التي هي ولاء ضيق فيوالي من أجل الحزب ويعادي من أجل الحزب..

فإذا كان سلفيا وهو يؤمن بالديمقراطية، فهذا ليس بسلفي ولا كرامة، وإن كان يؤمن بأن الله مستو على عرشه ويؤمن بأسماء الله وصفاته كما وردت في كتاب ربنا وسنة نبينا محمد –صلى الله عليه وعلى آله وسلم)[35].

حين يقتصر الحديث على المنضوين تحت لواء السلفيّة، تصبح هناك أحكام ومواقف مختلفة عن تلك التي تطرح إزاء غير السلفيين.

العمر يدعو السلفيين الى النأي عن استخدام سلاح التكفير ضد أهل دعوتهم من السلفيين، ويقول:

(الأصل أن تحمل حال المسلمين على السلامة: السلامة من الكفر والبدع والمخالفات، ولا ينتقل عن هذا الأصل إلا بيقين، ويتأكد هذا مع من يرفع راية الإسلام ويدعو إليه، ومن باب أولى مع من يدعو إلى منهج السلف ويذب عنه ويزعم الانتساب إليه)[36].

بطبيعة الحال، فإن للعمر رأياً آخر، حين يتعلّق الأمر بغير السلفي، فالتسامح الديني قبالة السلفي تقابله كراهية فائضة إزاء المسلم الآخر، الصوفي والشيعي والأباضي وحتى السنّي الأشعري والمعتزلي..

فهو حين يدعو إلى وحدة المسلمين، لا يعني (أن نجمع أهل الحق وأهل الباطل في صعيد واحد..فلا يصح أن يسوي بين من باين بينهم الله تعالى، كما لا سبيل إلى توحيد الحق مع الباطل)[37].

وقد ذكر اشيخ بكر أبو زيد، عضو سابق في هيئة كبار العلماء، ورئيس مجمع الفقه الإسلامي الدولي سابقا، في كتابه (تصنيف الناس بين الظن واليقين) ما نصّه (إن كشف الأهواء، والبدع المضلّة، ونقد المقالات المخالفة للطتاب والسنة، وتعرية الدعاة إليها، وهجرهم، وتحذير الناس منهم، وإقصاءهم، والبراءة من فعلاتهم، سنة ماضية في تاريخ المسلمين في إطار أهل السنة..)[38].

ولعل ما توهّمه العمر، أو أراد تسويقه على أنه تسامح ديني لدى الشيخ بكر أبو زيد حين انتقد أولئك الذين يرمون الناس بنعوت مثل: خارجي، معتزلي، أشعري، طرقي، إخواني، تبليغي، مقلد متعصب، متطرّف، متزمت، رجعي، أصولي..وغير ذلك إنما يحاول درء التمزّق داخل المجتمع الوهابي، حين يتقاذف أفراده مثل هذه الإتهامات بعد أن تفشّت ظاهرة الرمي والقذف وتفتيش النوايا وتصيّد العثرات، والتطاول وتمزيق الشمل والتقطّع في المجتمع الوهابي[39].

بل الكتاب كله يتحدث عن أحوال المجتمع الوهابي وما تفشّى فيه من أمراض الحسد والغيبة والتقاذف، والتنابز، والاستهزاء، والسخرية، والاستخفاف، والتشنيع المتبادل. فالحديث جلّه، إن لم يكن كلّه، يحوم حول حمى المذهب الحنبلي وامتداده الوهابي، وقد نقل نصوصاً في أسباب الألحاد، أولها (القدح بالعلماء)، وكلها حول الشيخ أحمد بن حنبل، كقول الدّورقي (من سمعته يذكر أحمد بن حنبل بسوء فاتهمه على الإسلام)، ونقل أيضاً (أحمد محنة به يُعرف المسلم من الزنديق)، ثم يخلص (فأهل السنة يُمتحن بمحبتهم فيتميز أهل السنة بحبهم، وأهل البدعة ببغضهم)[40].

وخصّص أبو زيد الدفاع عن ابن تيمية، وثم انتقل الى علماء السلف في قلب الجزيرة العربية، ودعاة السلفية عموماً[41].

يقول (وهذا الإنشقاق في صف أهل السنة لأول مرة ـ حسبما نعلم ـ يوجد في المنتسبين إليهم من يشاقهم، ويجنّد نفسه لمتافتهم، ويتوسّد ذراع الهم لإطفاء جذوتهم، والوقوف في طريق دعوتهم، وإطلاق العنان للّسان يفري في أعراض الدعاة ويلقي في طريقهم العوائق في:"عصبية طائشة)[42]. ويقول (إن تحرّك هؤلاء الذين يجولون في أعراض العلماء اليوم سوف يجرون ـ غداً ـ شباب الأمة إلى مرحلتهم الثانية: الوقيعة في أعراض الولاة من أهل السنة..) وقد وضع هامشاً بعد كلمة (الثانية)، وجاء فيها:(وهي نتيجة حتمية لمنهجهم، فلهم بالأمس أسلاف في حادثة الحرم

"السوداء" عام ١٤٠٠هـ..اختلفت الأساليب والغاية واحدة)[٤٣].

يبقى أن أبو زيد خصّص باباً للحديث (إلى كل مسلم)، وفيه كلام عام حول سلامة حال المسلم، وتحريم النيل من عرض المسلم، ولا يخرج عن هذين الأصلين إلا بدليل مثل الشمس في رائعة النهار على مثلها..[٤٤]. ولكنه جعل الكلام عن المسلمين على سبيل العموم وجعل الدعاة ـ من أتباع المذهب الوهابي، على سبيل الخصوص[٤٥].

(إعلم أن "تصنيف العالم الداعية" ـ وهو من أهل السنة ـ ورميه بالنقائص: ناقض من نواقض الدعوة، وإسهام في تقويض الدعوة، ونكث الثقة، وصرف الناس عن الخير..)[٤٦].

وقد يكون هذا الباب من النوادر في الأدبيات السلفية، لكونه أعذر اجتهادات علماء المذاهب الأخرى من أهل السنة، مثل أبي حامد الغزالي وغيرهم. على أية حال، لقد تحدّث أبو زيد عن القدح الذي ناله لأنه لم يلتزم حرفياً بتقاليد السلفية في خطب الصلاة، وفي المنهج السلفي في الحديث والفقه. ومع ذلك، فإنه قال كلاماً لو جمع مع أقوال أخرى وجدته مسيئاً في مقصده، كقوله:

(أما المبتدعة فلا والله، فإنا نخافهم ونحذرهم، ولواجب البيان نحذِّرهم من بدعهم، فاحذر مخالطتهم، والتلقي عنهم، فإن ذلك سم ناقع)[٤٧].

فالعمر يتمسّك بأن لا مناص من التوحيد، بالمفهوم الوهابي، كشروط لازم لوحدة المسلمين، وهذا ما يعمل دعاة الوهابية على تحقيقه. ويطمئنهم بنصوص مختارة (وعلى دعاة التوحيد ألا يغتروا بتلك الدعوات الهادية إلى الإنحراف بالمسيرة، بل ليكون ممن قال فيهم النبي صلى الله عليه وسلم"لا يزال من أمتي أمة قائمة بأمر الله لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتيهم أمر الله وهم على ذلك"..كما أن عليهم أن يدركوا أن قيامهم بالدعوة إلى التوحيد وما يقتضيه تتضمن الدعوة إلى الدين كله..)[٤٨].

العمر يسوق حكم التكفير دون ضوابط لا في الشكل اللفظي ولا في المضمون الحكمي، فضلاً عن نزعته الاجترارية، فهو يكرر مقولات سابقة

من مصاديق الرؤية العقدية الكونية لدى العمر، ما ذكره في حكم الدخول في البرلمانات، وهل يتعارض مع السياسة الشرعيّة. وللإجابة، يفرّق العمر بين ثلاث أنظمة حكم: نظام إسلامي عادل، ونظام إسلامي ظالم، نظام يحكم بالكفر. في حالة نظام الحكم الإسلامي العادل، فإن إنشاء هذه المجالس والمشاركة فيها جائز وفي بعض الحالات يكون واجباً إذا أمر ولي الأمر بذلك. أما إذا كانت الدولة إسلامية ولكنها ظالمة، فإن الدخول في المجالس والمشاركة فيها (يتوقف على صيغة نظام المجلس، ومدى تحقق المصالح ودفع المفاسد، وذلك بمراعاة قواعد تحصيل أعظم المصلحتين، ودفع أكبر المفسدتين، بحيث لا يترتب على مشاركته مفسدة أعظم، أو يفوت بتلك المشاركة مصلحة أكبر). والأصل في المشاركة هو الجواز، والمنع طارىء، أما إن كان النظام كافراً (فإن الأصل هو عدم جواز المشاركة في تلك البرلمانات..). ولكن ثمة استثناء في المشاركة يذكره العمر وفق ضوابط محددة: ١– ألاّ يترتب على المشاركة إقرار للكفر أو عمل به. ٢– أن تكون مصلحة المشاركة ظاهرة متحققة لا خفية أو موهومة أو لا اعتبار لها. ٣– ألا يترتب على تلك المشاركة مفسدة أعظم من المصالح المُراد تحقيقها، أو المفاسد المُراد درؤها ودفعها.

ويستدرك العمر، ليضع اعتبارات أخرى للمشاركة في المجالس منها: أن حق التشريع مقصور على الوحي، ولا يجوز لأحد من البشر مزاحمة هذا الحق. أن المشاركة في هذه المجالس لا تلغي مبدأ الولاء والبراء، بل يجب أن تكون هذه المجالس ميداناً لبيان هذه القضية وتحقيقها والصدع بها حسب مقتضيات المصلحة الشرعية، أن المشاركة في هذه المجالس ليست بديلاً عن المنهج النبوي في إقامة دولة الإسلام وتغيير الواقع الكفري، وإنما هي من أجل تحقيق المصالح وتخفيف المفاسد، وأن المشارك في هذه المجالس يجب أن يُظهر للناس أن مشاركته لا تستلزم الرضا بواقع هذه الأنظمة المخالفة للشرع ومؤسساتها الديمقراطية.

فكيف يمكن تحقيق مبدأ أن حق التشريع مقصور على الوحي في ظل دولة كافرة؟ وكيف يكون تطبيق مبدأ الولاء والبراءة في حال المشاركة في مجلس برلماني في دولة كافرة؟[٤٩].

العمر والشيعة

حين يتعلق الأمر بالشيعة، فإن الشيخ ناصر العمر لا يبدي أي تحفظ من أي نوع، بل لا يلتزم بأي معيار بخصوص تكفير المعيَّن أو العموم، ولا يتوقّف بحال عند الضوابط المرصودة في التكفير، أو بالأحرى في موانع التكفير. ربما يكون تواتر تكفير الشيعة في المصنّفات السلفية، وعلى وجه الخصوص منذ زمان الشيخ إبن تيمية حرم شيوخ الوهابية من مجرّد النظر ـ وليس إعادته أو مراجعته ـ فيما جاء في المصنّفات تلك. ولذلك، فإن العمر يسوق حكم التكفير دون ضوابط لا في الشكل اللفظي ولا في المضمون الحكمي، فضلاً عن النزعة الاجترارية لدى العمر، والتي تدفع الى تكرار ذات الحكم، وبالألفاظ نفسها التي وردت إما في كتب إبن تيمية وتلامذته أو ابن عبد الوهاب وعقبه.

جاء في إجابته عن موقفه من الشيعة بأن (موضوع الروافض ـ أي الشيعة ـ من أخطر المواضيع في هذا الزمان، والذي أراه أن الروافض [ولاسيما المدركين لحقيقة المذهب القائلين بها قد يكونون] أخطر من اليهود والنصارى)، وفي الواقع، ليس هو من يرى ذلك ابتداءً، بل سبقه عشرات من مشايخ السلفية من إبن تيمية وصولاً الى علماء الوهابية المعاصرين. يقول العمر (وقد بينت رأيي في الرافضة وخطورتهم قبل قرابة أربعة عشر عاماً في المذكّرة التي قدّمتها إلى هيئة كبار العلماء بعنوان (الرافضة في بلاد التوحيد) وأشرت إلى هذا في عدد من دروسي ومحاضراتي..). ويسوق العمر أمثلة لإثبات ما يعتقده تحقيقاً لما توصّل إليه قبل أربعة عشر عاماً ـ بل وحتى الآن. لهذا السبب، يرى العمر بأن (محاولات التقريب والدعوة للتقريب فهذه كلها تخدم العدو..)[٥٠].

في تقريره (واقع الرافضة في بلاد التوحيد)، الذي رفعه لهيئة كبار العلماء في ١٠ ذي القعدة ١٤١٣هـ كتب العمر ما نصّه: أمّا الطامّة الكبرى فهي أن عدداً من المدارس الإبتدائية في القطيف وقراها يقوم المدرسون الرافضة بتدريس المواد الشرعية كالقرآن والفقه والتوحيد ، بحكم أنه لا يشترط في مثل هذه المرحلة التخصص!"[٥١].

وحول تدريس المدرّسات الشيعيات، فقال بشأنهن: (إن المدرسات الرافضيات كثيرات فمنهن من يدرس في القطيف وقراها ومنهن من يدرس في ديار أهل السنة قريبة كانت أو بعيدة، قال أحد رجال الحسبة – في حفر الباطن–: (إن بناتنا يعدن بعد المدرسة فنفاجأ بثنائهن على مدرساتهن الرافضيات ونحس بتأثير معاملتهن عليهن). ويعلّق (فأي خطر على

معتقدات أهل الإسلام أعظم من أن يكون قدوة شبابهم الرافضة ومعلموهم المبتدعة؟)[٥٢].

في المقابل، يذكر (أن غالب مديري ووكلاء ومرشدي مدارس القطيف وقراها من الرافضة، مما يحول بين الطلاب وبين المدرسين من أهل السنة، ولذا فطالما أخذت العهود والمواثيق على مدرسي التربية الإسلامية بأن لا يتطرقوا إلى موضوعات خارج المقرر المدرسي – كي لا يتحدث عن معتقداتهم –، وفي المقابل يفتح المجال للمدرس الرافضي للدعوة في صفوف الطلاب وللتنفير من أهل السنة حتى لا يأخذ الطالب عنهم علماً ولا يرعى لهم سمعاً)[٥٣].

فالعمر، بحسب قراءة هذه الفقرات، يخوض نقاشاً من نوع خاص، لا ينتمي للنقاشات الحقوقية أو السياسية، فهو يرفض أن يكون معلمو الطلبة الشيعة من أتباع المذهب الشيعي، ويعدّ ذلك أمراً منكراً، بينما المطلوب، كما يراه العمر، هو أن يفتح الباب أمام المعلّمين الوهابيين للتبليغ بالعقيدة السلفية وسط الطلبة الشيعة. قد يبدو العقل الحر عاجزاً عن استيعاب هذا الجنوح الجنوني، خصوصاً في ظل ثورة حقوقية جعلت من حرية الاعتقاد والتعايش بين المعتقدات ركيزة السلام الأهلي، فيما لا يزال شخص أو بالأحرى جماعة مفتونة بمخلّفات القرون المظلمة التي تنادي بسياسة التطهير الطائفي والعرقي واقتراف جريمة الإبادة الثقافية (Cultural Genocide).

ما يبعث على الغرابة كلامه عن غياب مشايخ وهابيين في القطيف، فيما يكثر مشايخ وعلماء الشيعة في مناطقهم (إن المتأمل في حال المنطقة الشرقية ليداخله كمد وأسى لما يرى من قلّة وندرة علماء أهل السنة فيها. أما بالنسبة للرافضة ففي القطيف ونواحيها يوجد كثير من علماء الرافضة الكبار ولهم طلاب وأتباع جادون في العمل بين أبناء ملتهم ومذهبهم. ولا تخلو قرية من قرى القطيف من عالم رافضي)[٥٤]. للتذكير فحسب، تعتبر محافظة القطيف شيعية خالصة.

العمر يستنكر وجود الشيخ الشيعي، والمسجد الشيعي، والحسينية الشيعية، والكتاب الشيعي، والجمعية الخيرية الشيعية، والمحكمة الشيعية، وكأن الأصل العدم؟

وينكر العمر على الشيعة دفاعهم عن مذهبهم وردّ الإتّهامات التي تنال من عقيدتهم، وينكر على الشيعة عدم سماحهم لعلماء الوهابية بالدعوة في أوساطهم، ويعتبر ذلك من التقصير!

الأنكى من كل ما سبق هو ما ورد في توصيات تقرير العمر، والذي جرى حذفه من التقرير في سنوات لاحقة، حيث تشتمل التوصيات على ما يمكن وصفه بـأدلّة دامغة على (جريمة الإبادة الجماعية). حيث طالب العمر بإيقاف نشاط جميع علماء ودعاة وملالي الشيعة، وفرض الإقامة الجبريّة عليهم، ومنعهم من التدريس أو الحديث للناس في مجامعهم ومنتدياتهم، أو تأليف الكتب وكذا سائر الأنشطة الأخرى، وإيقاع العقوبة الرادعة لم يثبت منه مخالفته لذلك، ومنع الشيعة من تولي المناصب العليا وتسنم المواقع المهمة: كأستاذية الجامعات، وإدارة المدارس، ورئاسة الأقسام، والدوائر، وجميع الوظائف والرتب العسكرية، وجميع الوظائف التي لها علاقة وصلة بالمجتمع كالأمن، والصحة، والإعلام، فضلاً عن الدوائر الشرعية كالقضاء، والهيئات، ووزارة الحج، كما أنهم يجب أن يُمنعوا من التدريس بكل قطاعاته وتخصّصاته وبخاصة تدريس المرحلة الإبتدائية لما يُخشى من تلويث فطرهم والتأثير على معتقدهم.

ويمضي العمر في تدابير سياسة التطهير، ومنها: إيجاد حل سريع لمدّهم، وتكاثرهم، وزحفهم المخطط على المنطقة الشرقية وعلى غيرها من المناطق الأخرى، لما في ذلك من الخطر على معتقدات وأمن هذه البلاد.

وأيضاً: أن ينتدب طائفة من العلماء وطلبة العلم أنفسهم لتلك المنطقة: فينشرون العلم والدعوة، ويُعلّمون السنة، ويقمعون البدعة..وكذلك: أن يكثّف أهل السنة نشاطهم الدعوي، ببث الدعاة في جميع الأوساط لتبليغ المعتقد السلفي السليم من شوائب الابتداع – وبخاصة في مناطق وجود الرافضة –.

وقد وضع العمر خطّة متكاملة لكيفية إرغام الشيعة على التحوّل الى المذهب الوهابي من خلال تكثيف حملات التبليغ والدعوة وتوزيع الكتب والأشرطة وإقامة الإمسيات (لبيان المذهب الحق وبيان ماهم عليه من باطل وزيغ)، والهدف هو (فلعل هذه الجهود أن تثمر، وأن يرغب المبتدعة في دين الإسلام وبذلك تقوم الحجة وتبرء الذمة ويحتفظ أهل السنة بسلامة معتقدهم)..

يقدّم العمر ذلك وهو يستحضر فتوى ١٩٢٧، التي صدرت عن علماء الوهابية في الرياض حين تقدّموا بما يشبه مانيفستو وهابي، طالبوا فيه إبن سعود بإرغام الشيعة على التحوّل الى المذهب الوهابي. يزيد العمر على ذلك بالمطالبة بشن حملة كراهية في سائر أنحاء الجزيرة (عن خطر التشيّع والرفض على الإسلام ـ أي الوهابية ـ وبيان زيغه وضلاله وفضح ذلك المذهب وأتباعه على رؤوس الأشهاد).

وختم توصياته بجملة تنمّ عن عقلية مأزومة ومؤامراتية بامتياز (وليُعلم أن ما تُرك وجُهل فوق ما ذُكر وعُلم..).

في سياق نزعته التكفيرية بخلفية طائفية، يعتبر العمر في مداخلة له تلفزيونية، الحرب ضد الحوثيين بأنها (حرب عقدية)، ما يعني أنها حرب بين الحق والباطل والإيمان والكفر[٥٥].

وفي محاضرة له حول الصحافيين، إستكمل فيها ما اعتبرها العمر قائمة الأعداء. فبعد أن صنّف الشيعة واليهود والنصارى كأعداء، أفرد محاضرة خاصة حول رجال الأعلام والكتّاب في الصحف المحلية واعتبرهم منافقين وهم شركاء مع الشيعة واليهود والنصارى في العداوة ضد المسلمين (= الوهابيين). وكان قد نظّر طويلاً حول تحالف الليبراليين والرافضة واليهود والنصارى.

جاء هجوم العمر كرد فعل على انتقادات الصحافيين والكتّاب لتصرّفات رجال هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتجاوزاتهم، حيث اعتبر العمر تلك الانتقادات بمثابة تجاوزات على الشريعة. في الواقع، كان العمر يدافع عن الانتقادات ضد الشيخ صالح الفوازان ومواقفه التكفيرية، والتي اعتبرها العمر (هجمة شرسة)[٥٦].

التكفير مفتوح

في سياق تكفير الآخر، يدلي العمر بدلوه في موضوع دارج في موضوعات التكفير الوهابية، وهو السفر الى بلاد الغرب، أو بلاد الكفر، بحسب القاموس اللاهوتي الوهابي. فقد سئل عن حكم السفر الى بريطانيا، لتعلم اللغة الانجليزية، حتى مع الحاجة اليها في الدراسة الجامعيّة؟ وبحسب السائل: مع العلم أني سأسكن مع عائلة مسلمة.

جاءت إجابة العمر على النحو التالي: لا يجوز للمسلم السفر إلى بلاد الكفار للإقامة فيها إلا لضرورة أو حاجة ملحّة معتبرة، كطلب علم لا يوجد في بلادهم من علوم الدنيا، والأمة بحاجة إلى هذا العلم، أو للدعوةً إلى الله، أو للعلاج، وما شابه ذلك من الحاجات الضرورية؛ لأن الإقامة بين ظهراني المشركين محرمة؛ وذلك لقوله صلى الله عليه وسلم: "أنا بريء من كل مسلم يقيم بين أظهر المشركين" (أخرجه أبو داود والترمذي بسند حسن من حيث جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه)، والمهم أن تكون إقامة

المسلم في بلاد الكفر لسبب مشروع.

ومن سافر إلى هناك لسبب مشروع فعليه بإظهار دينه، وإلا فليرجع إلى بلده.

وتعلم اللغة الإنجليزية لا يحتاج إلى سفر وتعرض للفتن، بل مراكز تعليم اللغة الإنجليزية منتشرة في جميع أرجاء البلاد، فلتتق الله أيها المسلم، ولتحرص على الابتعاد عن مواطن الفتن، ومن ترك شيئاً لله عوضه الله خيراً منه(٥٧).

في ختام قراءة المواقف التكفيرية للعمر، تبدو الإجترارية سمة بارزة في كتاباته، فهو لا يتجاوز التكفير الوهابي في الشكل والمضمون، وحتى الموضوعات المراد مقاربتها تبدو متطابقة، وكأن العقل الإجتراري لا يكف عن النأي عن خط التجديد والتطوّر، ويبقى أميناً لسلفيته الساكنة، حتى في بعدها التكفيري.

المصادر

١ ـ ناصر بن سليمان العمر، الحديث عن التوحيد، بتاريخ ٥ صفر ١٤٢٧هـ أنظر الرابط:
http://almoslim.net/node/83159
٢ ـ ندوة مشتركة بعنوان (أهل السنة والجماعة في العقيدة والسلوك)، أنظر الرابط:
http://almoslim.net/cat_audio/151?page=2
٣ ـ الشيخ ناصر العمر، التوحيد أولاً، نسخة على برنامج وورد، ص ١ ـ ٢، أنظر رابط الموقع والكتاب:
http://almoslim.net/naser/all_book_naser
٤ ـ الشيخ ناصر العمر، المصدر السابق، ص ٤: ٥ ـ المصدر نفسه، ص ١٢: ٦ ـ المصدر نفسه، ص ١٣: ٧ ـ المصدر نفسه، ص ١٩: ٨ ـ المصدر نفسه، ص ٢٠: ٩ ـ المصدر نفسه، ص ٢١: ١٠ ـ المصدر نفسه، ص ٢٢: ١١ ـ المصدر نفسه، ص ٢٣: ١٢ ـ المصدر نفسه، ص ٢٣: ١٣ ـ المصدر نفسه، ص ٢٤: ١٤ ـ المصدر نفسه، ص ٢٦: ١٥ ـ المصدر نفسه، ص ٢٩: ١٦ ـ المصدر نفسه، ص ٣٥: ١٧ ـ المصدر نفسه، ص ص ٤٦ ـ ٤٨:
١٨ ـ عن شبكة السلفي، أنظر:
http://alsalafy.com/vb/showthread.php?t=231
١٩ ـ ناصر العمر، التوحيد واعتزال مواطن الفساد، بتاريخ ١٤٣٢/٩/١١هـ، ليدبّروا آياته (٣) – الحلقة العاشرة، أنظر الرابط:
http://almoslim.net/node/151229
٢٠ـ الشيخ ناصر العمر، محاضرة بعنوان (تصحيح العقيدة والفكر) بتاريخ ٦ رمضان ١٤٣٢هـ، أنظر الرابط التالي:
http://almoslim.net/node/150895
٢١ ـ ناصر بن سليمان العمر، في المنهج(١): أي منهج أسلم؟، بتاريخ ١٤٢٦/١١/١٠هـ، أنظر الرابط:
http://almoslim.net/node/83034
٢٢ـ الشيخ ناصر العمر، فقه الواقع، ص ٣١ ـ ٣٢، نسخة الكترونية محفوظة في موقع (المسلم) على الرابط التالي:
http://almoslim.net/naser/all_book_naser
٢٣ ـ الشيخ ناصر العمر، التكفير: ضبط وتحذير، بتاريخ ٢٤ محرم الحرام ١٤٣١هـ في موقع المسلم أنظر الرابط:
http://almoslim.net/node/122524
٢٤ ـ مقابلة مطوّلة مع الشيخ العمر مع موقعه (المسلم) بتاريخ ٢٣ /١٤٢٧/٦هـ أنظر الرابط التالي:
http://almoslim.net/node/132564
٢٥ ـ الشيخ ناصر العمر، التوحيد وشبهة الوحدوية، بتاريخ ١٤٣١/٨/١٩هـ، موقع المسلم، أنظر الرابط:
http://almoslim.net/node/131991
٢٦ ـ الشيخ ناصر العمر، أسباب تخلّف المسلمين، كتاب محفوظ على برنامج وورد على الرابط التالي:
http://www.4shared.com/document/W5_7VAMO/___-__.htm
٢٧ ـ الشيخ ناصر العمر، رمضان ودروس التوحيد، أنظر الرابط التالي:
http://www.almoslim.net/node/88093
٢٨ ـ الشيخ ناصر العمر، تكثير الأتباع بالوحي لا بالإبتداع، موقع المسلم، بتاريخ ١٤٣٠/١٢/٢٧هـ، أنظر الرابط التالي:
http://almoslim.net/node/121457
٢٩ ـ الشيخ ناصر العمر، الحرص على تكثير الأتباع يذم أصلاً ويمدح فرعاً، ثبّت في موقع (المسلم) بتاريخ ١٤٣٠/١٢/١٩هـ، أنظر الرابط:
http://almoslim.net/node/121121
٣٠ ـ اسماعيل بن عبد الرحمن الصابوني، عقيدة السلف وأصحاب الحديث..أو الرسالة في اعتقاد أهل السنة وأصحاب الحديث والأئمة، دراسة وتحقيق، د. ناصر بن عبد الرحمن بن محمد الجديع، دار العاصمة، الرياض، ط٢، ١٩٩٨، ص ١٤٨
٣١ ـ أنظر الرابط
http://www.muqbel.net/files.php?file_id=5&item_index=5
٣٢ ـ العلامة الشيخ محمد بن أحمد السفاريني، لوامع الأنوار البهيّة وسواطع الأسرار الأثرية..شرح الدرّة المضيّة في عقيدة الفرقة المرضيّة، دار الخاني، الرياض، ط٣، ١٩٩١، ص ٢٠
٣٣ ـ السفاريني، المصدر السابق، ص ٢١: ٣٤ ـ السفاريني، المصدر السابق، ص ٢٥
٣٥ ـ أنظر الرابط:
http://www.muqbel.net/files.php?file_id=5&item_index=5
٣٦ ـ الشيخ ناصر العمر، الإنقسام السلفي..أسبابه وعلاجه، ورقة منشورة بتاريخ ١٧ ذي القعدة سنة ١٤٣٢ هـ في موقع (المسلم)، أنظر الرابط:
http://almoslim.net/node/154296
٣٧ ـ الشيخ ناصر العمر، التفريق بين المسلمين، بتاريخ ١٤٢٩/٤/٣٠هـ، أنظر الرابط:
http://almoslim.net/node/92990
٣٨ ـ بكر بن عبد الله أبو زيد، تصنيف الناس بين الظن واليقين، دار العاصمة، (د.ت)، ص ٨
٣٩ ـ بكر بن عبد الله أبو زيد، المصدر السابق، ص ١٠: ٤٠ ـ المصدر نفسه، ص ٢٧: ٤١ ـ المصدر نفسه، ص ٢٨: ٤٢ ـ المصدرالسابق، ص ٤٠: ٤٣ ـ المصدر السابق، ص ٥٤: ٤٤ ـ المصدر السابق، ص ص ٧٥، ٧٦: ٤٥ ـ المصدر نفسه ص ٧٨: ٤٦ ـ المصدر نفسه، ص ٧٩: ٤٧ ـ المصدر نفسه، ص ٩٢.
٤٨ ـ الشيخ ناصر العمر، دعوة التوحيد للانطلاق لا الجمود، بتاريخ ١٤٢٨/١٢/١٩هـ، أنظر الرابط:
http://almoslim.net/node/84308
٤٩ ـ الشيخ ناصر بن سليمان العمر، الدخول في البرلمانات.. هل يتعارض مع السياسة الشرعية؟، بتاريخ ١٤٢٥/١٢/٢٦هـ، نشر في موقع (المسلم)، أنظر الرابط:
http://almoslim.net/node/82533
٥٠ ـ مقابلة مطوّلة مع الشيخ ناصر العمر مع موقعه (المسلم)، بتاريخ ١٤٢٧/٦/٢٣هـ، أنظر الرابط التالي:
http://almoslim.net/node/132564
٥١ ـ ناصر العمر، واقع الرافضة في بلاد التوحيد، رسائل العقيدة، نسخة الكترونية، نشر سنة ١٤١٣هـ/١٩٩٢، ص ٦: ٥٢ ـ المصدر السابق، ص٦ ـ ٧: ٥٣ ـ المصدر السابق، ص ٧: ٥٤ ـ المصدر السابق، ص ١٢
٥٥ ـ (رؤية شاملة في أحداث الحودثيين) مثبّتة في موقع العمر (المسلم) بتاريخ ١٤٣٠/١١/٢٢هـ:
http://almoslim.net/cat_audio/151?page=1
٥٦ ـ ناصر العمر، منافقو الصحافة، محاضرة بتاريخ ١٤٢٧/٨/٢٧هـ، أنظر الرابط التالي:
http://www.almoslim.net/cat_audio/151?page=3
٥٧ ـ نقلاً عن موقع الشيخ ناصر العمر على شبكة الإنترنت، أنظر الرابط:
http://ar.islamway.com/fatwa/12700

رحل القذافي.. ولكن مصادر التهديد باقية

آل سعود في زمن الأسوأ



كتبت محررة مجلة (بروسبكت) برونوين مادوكس في جريدة (التايمز) اللندنية في ٢٧ تشرين الأول (أكتوبر) الماضي بأنه في حمى ربيع العرب، فإن عدم استقرار السعودية يتعاظم كما يتعاظم سباق تسلّح وشيك مع إيران.

إن عملية الدفن السري لجثمان العقيد معمر القذافي، والتي برزت كواحدة من النقاط المناخية في ربيع العرب، لم تكن المراسيم الأكثر أهمية في ذلك اليوم. بل الأهم من ذلك كله كان جنازة ولي العهد السعودي الأمير سلطان. وحيث أن الآلاف إحتشدوا في مسجد تركي بن عبد الله بالرياض، مصطفين لتقديم التعازي الى الملك عبد الله (الذي كان يتعافى من عملية جراحية، وبقي جالساً ومرتدياً قناعاً طبياً)، كانت تلك لوحة عن نظام في أزمة.

حقاً، فحتى عقدين من الزمن على الأقل، كان السفراء الى السعودية يملئون التقارير بأن الحقبة الطويلة من الإستقرار التي تعيشها المملكة تقترب من نهايتها وأن على الغرب أن يوطّد نفسه على الإنفجار. هذه الشكاوى بقيت حتى الآن خاطئة. وأن الملك عبد الله كما يتوقّع على نطاق واسع، بإسم الإستقرار، سيعيّن خليفته الفاعل وزير الداخلية الأمير نايف، المعروف بكونه محافظاً وتسلّطياً.

ولكن الإستقرار أبعد ما يكون من السهولة تحقيقه. فالوراثة نفسها موضع نزاع داخل أجنحة العائلة المالكة التي يصل تعداد أفرادها ٢٢،٠٠٠ أميراً وأميرة. وأن قوّتهم تخضع تحت التهديد من تحديّات داخلية عدّة. فهناك الأقلية الشيعية الساخطة القلقة (نحو ١٥ بالمئة من التعداد السكاني، أو ٣،٥ مليون نسمة)، والحركة النسوّية الجنينية التي لا يمكن إستبعادها أو تجاهلها. الأخطر من ذلك كله، على كل حال، أن هناك ملايين السعوديين ـ كثير منهم من الشباب العاطلين عن العمل ـ الذين أمضوا الشهور الستة الماضية في مراقبة الإنتفاضات العربية على القنوات الفضائية، ويتساءلون ما إذا ستكون بلادهم القادمة.

ثم يأتي ضمنياً التهديد الأشد زعزعة للإستقرار، ذلك الذي ياتي من تقدّم إيران باتجاه بناء أسلحة نووية واحتمال قيام إسرائيل بشن حملات جويّة لوقف التقدم ذاك. لا تشعر السعودية بقلق على التجارة مع الصين، ولا أزمة اليورو، فقد يُنظر إليها على أنها مجرد كماليات السياسة الخارجية بالمقارنة مع تهديد العطالة بين السعودية وايران. إنها تتشكل لتكون المشكلة الدولية الأشد صعوبة والتي تواجه بريطانيا والولايات المتحدة، وقد تكون الأزمة الأولى التي تواجه الرئيس أوباما أو خلفه بعد الإنتخابات الرئاسية في العام المقبل.

خلافة الملك عبد الله كانت الشغل الشاغل لسنوات، ليس فحسب في السعودية. فالأمير نايف، كسب سمعة بوصفه متشدّداً خلال فترته كوزير للداخلية، حينذاك لم يكن مرتاحاً حتى مع حركة التحرير المحدودة التي وضعها الملك عبد الله على السكّة. في مواجهة الإيحاءات السلبية حول نايف، فإن مسؤولين أميركيين ـ يدعمون بصورة واسعة صعوده ـ ويقولون بصورة خاصة دون مبرر واضح، بأنّه سوف يحكم البلاد كبراغماتي.

ولكن سمعته وغرائزه السابقة لا تجعل منه يبدو المرشّح الأفضل لإدارة المشاكل الاجتماعية المتعاظمة في السعودية في حمى الربيع العربي. لقد تضاعف عدد السكان ثلاث مرات خلال الـ ٣٤ سنة الماضية، وحتى الثروة النفطية فشلت في الحفاظ على مستويات المعيشة للجميع. وبالرغم من جهود الملك عبد الله، فإن الإقتصاد قد بدأ للتو بالتنوّع من النفط والغاز؟ وحيث أن الكثير منها يفتقر الى ثقافة عمل متطوّرة، فإن الكثير من الوظائف يتم تنجيزها بواسطة عمّال أجانب موقّتين.

البطالة بلغت ١١ بالمئة، ولكن هي أعلى بكثير بالنسبة للشباب، وأن المملكة بدأت بدفع معونات لأول مرة ـ الاستعمال المباشر للثروة النفطية لشراء السلم. أصبح للحركة النسائية صوت مرتفع بدرجة كبيرة ولن تكون راضية من خلال الحق الممنوح لها مؤخراً بالتصويت في الإنتخابات البلدية عديمة الجدوى تقريباً.

الأهم من ذلك كله، أن الأقليّة الشيعية، والتي تقطن في المنطقة الشرقية الغنيّة بالنفط، راقبت بغضب القمع المدعوم سعودياً للإنتفاضة من قبل السكان الشيعة، الأغلبية في البحرين. وهذه الضغوطات كانت تتنامى لسنوات، ولكن التنافس السعودي مع إيران الشيعية تستدعي بعداً جديداً للمشكلة.

إن تقرير الوكالة الدولية للطاقة النووية (كاتبة المقابلة تحدّثت عن صدوره في نوفمبر)، يفيد بأن إيران تعمل على "تسليح" مواد نووية. إنه ضريبة تدخّل مفتشي الوكالة، وكذلك مبرر لجولة رابعة من العقوبات الدولية وفايروس ستكسنت، حيث لم تحصل إيران حتى الآن على واحد منها.

السعودية، وهي تراقب العطالة، أوضحت بأن ايران اذا حصلت على السلاح النووي، فإنها تريد هي الأخرى ذلك. لا غرابة من أين سيأتي ذلك: باكستان. السعودية موّلت باكستان لفترة طويلة، وإذا ما طلبت تعويضاً بالحصول على المعرفة النووية مقابل ما قدّمته من مساعدات، فمن الصعب أن ترى اسلام أباد ترفض طلب السعودية.

وحيث لا تزال بريطانيا والولايات المتحدة تمتلكان نفوذاً، فيجب عليهما التركيز على ثني السعودية عن الحصول على تكنولوجيا الأسلحة النووية وعلى باكستان من تزويدها بذلك. وهذا يتطلب أن يكون أولوية لدى أنظمة عربية جديدة في المنطقة أيضاً.

إن الربيع العربي قد حقن الأمل والإحساس بالتغيير في البلدان التي جمدت فيها الحكومات لأجيال. ولكن الظل عليها كان مظهر السعودية، بالنظر الى سجّلها في رد الفعل دائماً بصورة ضئيلة، ومتأخرة جداً للضغط من أجل التغيير.

ربما، عبر القمع، تستطيع العائلة المالكة مواصلة وقف تلك القوى لسنوات. ولكن الصدام مع ايران هو سبب جديد للتفكير بأن الاستقرار قد لا يدوم.

كلينتون في دعوة ناعمة للسعودية والبحرين

إدخلوا الربيع العربي.. لو سمحتم!

وصـفت بـأنـهـا كلمة هـامـة، ومفصليّة، وتاريخية، ولم نجد فيها ذلك. ومع ذلك فضّلنا ترجمة أهـم فقراتها لوضعها أمـام المراقب والمتابع لسياسة المعايير الأميركية المزدوجة حيال الربيع العربي.

بخلاف ما يوحي عنوان بلومبرغ أو (إرابيان بزنس.كوم) بأن كلينتون تحث السعودية والبحرين على الدخول في الربيع العربي، فإن كلام كلينتون عن السعودية جاء عابراً ومقتضباً ومن باب (إبراء الذمة) فحسب، وليس تعبيراً عن موقف، فضلاً عن مبادرة ومشروع مقترح..

كلينتون تحدّثت بصورة عامة عن الثورات العربية، ولم تنس تسجيل دور أميركي في الربيع العربي، بل أوحت الى قبول ما كان مرفوضاً في المبدأ من وصول جماعات إسلامية الى السلطة. كلينتون أعـادت تعريف الجماعات الإسلامية على أساس أنها غير معادية للديمقراطية (طبعاً لا ينطبق الأمر على خصوم الكيان الإسرائيلي مثل حركة حماس في فلسطين وحزب الله في لبنان)..

كلينتون، ومنذ البداية، ميّزت بين إصلاحات سياسية في البحرين تجريها العائلة المالكة الخليفية، وبين قبول مطالب المحتّجين في سورية. واضح في هذا النوع من التصريح المـراوغ أن كلينتون، والإدارة الأميركية خصوصاً، ليست مع مطالب المحتّجين في البحرين الذين يطالبون بسقوط النظام، حتى بـات شعار (يسقط حمد) بنغمته المشهورة الأكثف حضوراً في شعارات الثورات العربية، فيما لا حديث على الإطلاق عن اليمن وهي الثورة الأكثر شعبية في ربيع العرب، فيما يبدو الموقف الأميركي داعماً بفجور لإخراج الثورة السوريّة من سلميتها وإرغامها على حمل السلاح والعسكرة، رغـم مـا تنطوي عليه من احتمالات اندلاع الحرب الأهلية.

وهنا مقتطفات من كلمة كلينتون للتاريخ.. وللشعوب العربية. فقد حثّت وزيـرة الخارجية الأميركية هيلاري كلينتون كلاً من السعودية والبحرين على تبني إصلاحات سياسية، فيما طالبت سورية بقبول مطالب المحتّجين (أي إسقاط النظام). وقالت كلينتون في ٧ نوفمبر الجـاري في كلمة لها أمـام المعهد الديمقراطي القومي، وهي منظمة داعمة للديمقراطية ومقرّها في واشنطن، بـأن للولايات المتحدة دوراً في الحركات الديمقراطية التي تستمر في تعكير الشرق الأوسط. وأضافت بأن (الثورات ليست لنا، وليست بواسطتنا، وليست ضدنا، ولكن لنا دور فيها)، وقالت أيضاً بأن (من حيث الأصل، فإن هناك جانب حق في التاريخ، ونريد أن نكون فيه، وبدون استثناء، نريد لشركاءنا في المنطقة تبني إصلاحات، حيث يكون هموا ايضاً في الجانب الصحيح من التاريخ).

أضـاءت كلينتون على الشكوك في كل من العالم العربي وفي داخل الولايات المتحدة حول الدوافع والإلتزامات الأميركية منذ أن بدأ الربيع العربي بحادثة حرق بائع الفواكه التونسي نفسه في ديسمبر ٢٠١٠.

الـتـطـوّرات في الشهور مـنـذاك صعدّت من احتمالية أن تكسب الجماعات الإسلامية السلطة السياسية في مـصـر، قـد سلّطت الـضـوء على الإختلافات في الطريقة التي قاربت فيها الولايات المتحدة الحركات الإحتجاجية في أماكن مثل البحرين وسوريا وأثـارت أسئلة حول معارضة الولايات المتحدة لمحاولات فلسطينية منفردة للحصول على اعتراف بالدولة الفلسطينية.

وإذ ليس هناك مقاربة (مقاس واحد للجميع) للديمقراطية في العالم العربي، فـإن مثل تلك الحركة هي بقوة من مصلحة الولايات المتحدة وهي ضرورة استراتيجية، حسب تصريح كلينتون.

تقول كلينتون أيضاً بـأن (المصدر الأكبر والوحيد لعدم الإستقرار في الشرق الأوسط اليوم ليس هو مطلب التغيير، ولكنّه رفض التغيير). كلينتون ذكرت بأنها صادقة مع حلفائها كما مع الآخرين. وحذّرت بأنه، في حال بقيت القوّة السياسية الأقـوى في مصر مليئة بالرسميين غير المنتخبين، فسوف تكون هناك اضطرابات مستقبلية.

شجبت كلينتون ما وصفته بالنفاق الإيراني، وقالت بأنه على النقيض من مزاعم إيران بدعم الديمقراطية في الخـارج، وقالت بـأن الهوّة بين الحكاّم والمحكومين أكبر في إيران منها في أي مكان آخر في المنطقة...وقالت بأن البحرين، حيث موقع الأسطول الأميركي الخامس، وهو متراس ضد العدوان الإيراني في الخليج، ثم عادت كلينتون وقـالـت بـأن الإصـلاحـات ستكون في مصلحة المملكة.

وقالت كلينتون بأن المسؤولين في البحرين إستعلموا الإعـتـقـالات الجـمـاعـيّـة لمواجهة الإحتجاجات من قبل الغالبية الشيعية المطالبة بحقوق أكـبر في بلد يـدار من السنّة. وأشـارت كلينتون إلى أن أعضاء في الكونغرس طالبت بتحقيق في انتهاكات حقوق الإنسان قبل إمضاء صفقة بيع أسلحة متفق عليها سلفاً مع المملكة/ البحرين.

تقول كلينتون بأن الولايات المتحدة ستضع البحرين أمـام التزاماتها للسماح بالإحتجاج السلمي والإفراج عن السجناء السياسيين. وذكرت أيضاً بأنه في الوقت الذي تكون فيه الإصلاحات والمـسـاواة في مصلحة الـبـحـريـن، ومصلحة المنطقة، ومصلحتنا، فإن القلاقل المستمرّة تصب في منفعة إيران.

لفتت كلينتون الى أن حركات الاحتجاج في الشرق الأوسط قد تأتي بجماعات وأحـزاب لا تتوافق الـولايـات المتحدة معها. وأوضحت بأنها سئلت عن ذلك مـراراً في سياق الأحـزاب السياسية الإسلامية. وقالت بأن الرأي القائل بأن "المسلمين المخلصين لا يستطيعون العيش في ظل الديمقراطية يعتبر مهيناً، وخطيراً، وخاطئاً". واستدركت كلينتون بالقول بـأن "العقلاء قد يتباينون في الكثير"، فـإن العامل الحاسم هو الالتصاق بالمبادىء الديمقراطية الأساسية. فـالأحـزاب يجب أن ترفض العنف، والإلـتـزام بحكم القانون واحترام حرية الكلام، والإتحـاد، والإجتماع، وكذلك حرّيات النساء والأقليّات، وقالت (بكلمات أخرى، ما تطلقه الأحـزاب على نفسها أقل أهمية مما تفعل).

وقالت كلينتون بأن لدى الولايات المتحدة المصادر، والقدرات، والخبرات لدعم أولئك الذين يسعون إلى تنفيذ عملية الإنتقال الى الديمقراطية. فجماعات مثل المعهد الديمقراطي القومي يستطيع المساعدة في تقديم كل مستلزمات الديمقراطية، وتعليم الناس على كيفية تشكيل حزب سياسي، وضمان مشاركة المـرأة في الحكومة، وكيفية تنشئة مجتمع مدني.

وختمت كلينتون بالقول بأنه (مع احتمال وقوع الكثير من الأخطاء، وكذلك وقوع الكثير من الأمور الصحيحة، فإن دعم الديمقراطية العربية الناشئة هو إستثمار لا يمكننا إلا القيام به).

النظام العتيق في العربية السعودية يبلغ من العمر أرذله

د. مي يماني

التباين الواضح بين توقيت وفاة العقيد الليبي معمر القذافي ووفاة ولي العهد السعودي الأمير سلطان بن عبد العزيز، بفارق يومين فقط، يمثل الهزل المبتذل في ختام العمر، في مقابل تفسخ حكم الشيوخ الطاعنين في السن. ومن المرجح أن تقود وفاة الرجلين إلى نتيجتين مختلفتين تمام الاختلاف: التحرر لليبيين، والركود والجمود للسعوديين.

ولكن وفاة الأمير سلطان عن عمر يناهز ٨٦ عاماً تمثل بداية فترة حرجة من عدم اليقين على الصعيدين المحلي والخارجي فيما يتصل بمستقبل المملكة. ذلك أن الملك عبد الله الذي يبلغ من العمر ٨٧ عاما، والأخ غير الشقيق للأمير سلطان، لا يزال محتجزاً في مستشفى بالرياض في أعقاب عملية كبيرة أجريت له الشهر الماضي. ويزداد النظام هناك شيخوخة ومرضا، ويعتبره أهل السعودية نظاماً لا يستطيع البقاء إلا بفضل أجهزة دعم الحياة.

وفي الوقت نفسه، لا يزال الجدال دائراً حول الخلافة. وتُعَد وفاة سلطان المرة الأولى التي يتم فيها تأجيل دفن أحد أفراد الأسرة المالكة السعودية بهدف منح الأسرة الحاكمة الوقت لاتخاذ القرار بشأن ولي العهد التالي - وهي علامة توحي بحدوث انشقاق داخلي (واتفاق على استمرار الحكم الوراثي).

والآن يعتمد استقرار النظام السعودي على قدرته على الحفاظ على الوحدة وترسيخ نظام واضح في إقامة الخلافة. فبوفاة ولي العهد، باتت الانشقاقات تهدد استقرار المملكة، واستقرار صادرات النفط بشكل خاص، لأن أسرة آل سعود الحاكمة تضخمت إلى أن بلغ عدد أفرادها ٢٢ ألف عضو، الأمر الذي سمح بنشوب خلافات وصدامات بين العدد المتزايد من المطالبين بالسلطة المنتمين إلى الفصائل المختلفة.

كان الأمير سلطان في حكم المتوفى - سياسيا - طيلة الأعوام الثلاثة الماضية؛ ومنذ يونيو ٢٠١١، عندما غادر إلى نيويورك لتلقي العلاج الطبي، تكهن الشباب السعوديون على العديد من مواقع الإنترنت بوفاته فعلياً أيضا.

والواقع أن شيخوخة خلفاء الملك عبد الله تذكرنا بالسنوات الأخيرة من عمر الاتحاد السوفييتي، عندما تعاقب الزعيم المسن تلو الآخر على السلطة لفترة وجيزة من الحكم الخامل الواهن. ويشعر العديد من الرعية السعوديين بنفس النمط من عدم اليقين المستمر والسُبات.

ولكي يزداد الطين بلة، فإن نظام الخلافة يتسم بالغموض. فبعد أن خلف عبد الله على العرش شقيقه فهد، الذي حكم المملكة طيلة ٣٢ عاماً حتى وفاته في عام ٢٠٠٥، أنشأ مجلساً للبيعة يتألف من هيئة عائلية غامضة ومبهمة أشبه بمجلس الكرادلة في الفاتيكان. ولكن القيود هنا لا تستند إلى السن كليا، بل على تسلسل النسب. ولقد ضم المجلس الأمراء الملكيين الباقين على قيد الحياة من بين ثلاثة



د. مي يماني

وأربعين ابناً أنجبهم إبن سعود، مؤسس المملكة، وأبناء إخوانهم المتوفين - على سبيل المثال، نسل الملك الراحل فيصل.

ولكن مع تدهور صحة سلطان، التف الملك عبد الله حول المجلس الذي أنشأه وعين الأمير نايف وزير الداخلية نائباً ثانيا. أي أن نايف سوف يُنَصَّب بعبارة أخرى ولياً للعهد. ولكن وعلى نحو يتناسب مع هذه الإمبراطورية المتحجرة، يعاني نايف من سرطان الدم.

تُقَدَّر ثروة سلطان بنحو ٢٧٠ مليار دولار، وهي الثروة التي وزعها بين أبنائه قبيل وفاته بهدف دعم موقفهم السياسي في ساحة التنافس بين الأمراء. والواقع أن كلاً من كبار الأمراء وضع أبناءه المفضلين في مناصب مهمة في المملكة. فأمَّن سلطان منصب نائب وزير الدفاع لنجله خالد، وأعاد شقيق خالد السيئ السمعة بندر ليتولى

رئاسة مجلس أمن الاستخبارات. وضمن عبد الله لولده متعب منصب رئيس الحرس الوطني. أما ولي العهد الجديد نايف، فقد سمى ولده محمد الوزير التالي للداخلية.

باختصار، على الرغم من إبداعات عبد الله في عملية الخلافة، فإنه ليس سراً أن لا شيء يضمن الانتقال إلى جيل أكثر شباباً من القادة ـ أو أن حاكماً فعّالاً قد يبرز إلى الوجود. والحقيقة أن قصة الصراع على خلافة آل سعود لم تَعُد تُتناقل همساً خلف الأبواب المغلقة. فقد فتحت شبكة الإنترنت نافذة على كل مخططات الأسرة الحاكمة، وطموحاتها وصفقاتها المزدوجة.

إن آل سعود أشبه بشركة عائلية تأسست في عام ١٩٣٢. فقد تمكن ابن سعود من فتح وتوحيد أراضي شبه الجزيرة العربية الشاسعة، وأطلق عليها اسم عائلته، ثم أبعد وقسم وسيطر على أبناء عمومته وإخوانه حتى يتسنى له تأسيس خط نسب واضح لا نزاع عليه للخلافة عبر أبنائه. وبعد وفاة ابن سعود، حافظ أبناؤه، على الرغم من عدم توحدهم بشكل كامل، على القدر الكافي من التماسك لاستمرار (الشركة) في العمل على النحو اللائق. بيد أن هذا لا ينطبق الآن على الآلاف من الأمراء الذين أنجبهم أنجال بن سعود. ومع زوال الجيل القديم، راح أبناء الجيل الجديد يتقاتلون على مرأى من (الزبائن).

والواقع أن التحدي المتمثل في إدارة امتيازات الأمراء ورواتبهم وطلبهم على الوظائف لم يكن أكثر شراسة في أي وقت مضى كما هو الآن، بعد أن أصبحت نسبة الأمراء إلى عامة الناس واحد إلى ألف. وتشتمل الامتيازات الملكية على وظائف عاطلة مؤمنة مدى الحياة، والهيمنة على الخدمة المدنية، الأمر الذي يمكن الأمراء من منح العقود وتلقي العمولات زيادة على رواتبهم.

النظام السعودي منقسم إذن، وأصبحت شرعيته موضع تساؤل وتشكيك، هذا فضلاً عن التوترات الطائفية الآخذة في النمو. وعلى الرغم من ازدهار عائدات النفط، فإن الجيرة أصبحت مشتعلة بلهيب الثورات.

ومن المتوقع في الأمد القريب أن يدفع نايف ذو القبضة الحديدة، بوصفه ولياً للعهد، المملكة إلى المزيد من القمع، بتعزيز مكانة الدوائر الوهابية المتشددة في وشائج السلطة في البلاد. وسوف يتم تخصيص مبالغ هائلة من المال، بدعم من العقيدة الوهابية، لضمان خضوع الشعب وصمته. وفي حين تحدث عبد الله على الأقل عن الإصلاح (ولو من دون عواقب حقيقية)، فإن نايف لا يستطيع إلا بالكاد حمل نفسه على التلفظ بكلمة (الإصلاح).

لا يزال الإنكار يشكل العقلية المهيمنة بين الحكام السعوديين. فيتصور أفراد الأسرة المالكة أن خدمة الأماكن الإسلامية المقدسة تمنحهم مكانة خاصة في العالم العربي، وأنه من غير الممكن أن تمسهم ثورة. وإذا حاول أي شخص، فلسوف يتبعن نصيحة نايف: (ما أخذناه بالسيف لا نحميه إلا بالسيف).

في مختلف أنحاء المنطقة، يحاول الشباب العربي الذين انتفضوا حديثا (فأصبحوا ممكنين بالتالي) دفع بلدانهم نحو الإصلاح والتحرر. ولكن من المؤسف أن المملكة العربية السعودية، تسير في الاتجاه المعاكس.

عن بروجكت سنديكيت، ٢٠١١/١٠/٢٥

اليمنيون يحملون السعودية مسؤولية اختفاء زعيم الإسماعيلية

حمّل ائتلاف شباب فتية في ساحة التغيير بصنعاء والذي يمثل الآلاف من أبناء الطائفة الاسماعيلية الحكومتين اليمنية والسعودية مسئولية ما سماه بعملية الإخفاء القسري للزعيم الروحي للطائفة الاسماعيلية الأمام حسين المكرمي قبل سنوات بعد نقله سرا من منطقة نجران السعودية الى اليمن، بحسب البيان الصادر عن الائتلاف.

وطالب الائتلاف في بيان له بسرعة الكشف عن مصير إمام الطائفة الاسماعيلية التي تضم ملايين الاتباع في اليمن والسعودية ومختلف دول العالم. وتتمركز في منطقة نجران بالسعودية محذرا من موجة احتجاجات عارمة لأبناء الطائفة الاسماعيلية في السعودية وبقية دول العالم خلال الايام المقبلة، اذا لم يكشف عن مصير الأمام حسين المكرمي.

ويعد الأمام حسين المكرمي الزعيم الروحي للطائفة الاسماعلية وتعود أصوله الى قبيلة همدان اليمنية التي ولد فيها.

وتقول السلطات السعودية إنه توفي في السادس من حزيران عام ٢٠٠٥ بعد سنوات قضاها في الاعتقال بالسجون السعودية، لكن الكثيرين من أتباعه حول العالم لم يصدقوا رواية وفاته، ويصرون على أنه أخفي قسريا في عملية سرية بعد نقله من السعودية الى اليمن قبل عدة سنوات.

وتمثل هذه القضية واحدة من أهم القضايا الشائكة التي تؤرق الحكومة السعودية تخوفها من تحولها لبؤرة احتجاجات شعبية في جنوب المملكة.

عن: موقع بي بي سي العربي، ٢٠١١/١١/٧

المحافظون السعوديون الجدد!

عبدالله العودة

(كلنا خدعنا ولا نخجل أن نقول خدعنا بدعاوى الحرية التي يتعطش إليها كل رجل حر وإلى فرص النجاح في العالم المفتوح على كل الأصعدة، لكنني بعد سنين طويلة وأنا أتأمل هذه القافلة اللبرالية التي استشرت في كل البلاد العربية، إلى أين تسير؟. ما هي الوجهة؟. فلا أراها تخدم في نهاية المطاف إلا المشروع الصهيو ـ أمريكي الذي يسعى لتفتيت بلادنا وتمزيق وحدتنا والاستيلاء على خيرات بلادنا، هذا هو المآل في مساره العام).

هكذا يعبر أحد (الليبراليين) المهتدين إلى طريق اللاحرية، حين أصبحت الحرية غواية سياسية، وحين وصلت الحرية لتهديد بلاط (السيد الكبير) الذي يحوم حوله السدنة والمنتفعون الذين يرون وجودهم من وجوده، ويعدون خيراتهم من خيراته، ونهايتهم بنهاية استبداده.

الكاتب خالد الغنامي يكتشف في نفس المقال – وفقط بعد الثورات العربية – أن (الليبرالية) التي جاءت بمفهوم الحرية هي (مكر يهودي) حسب تعبيره. ولكي أوضح فقط بعض النقاط المهمة في المقطع السابق من مقاله، أظن أن المصداقية تحتّم أن أؤكد أن طرح الكثير من (الليبراليين) في السعودية ليس له علاقة بحال من الأحوال بقيمة (الحرية) السياسية التي تجتاح مفاهيمها العالم العربي، بل في كثير من الأحيان كان (الليبرالي) في أحسن الأحوال إما ساكتاً مغمغماً أو مؤيداً مستثمراً، فالقول بأن الكاتب الغنامي مثلاً اكتشف خطر (الحرية) التي كان يدعو إليها هو مثل قول بائع الطماطم أنه اكتشف فساد وضرر الباذنجان!، فالحرية التي كان يعرفها لم تكن تتحدث عن مشاركة الناس في صنع القرار، ولا حرية التعبير عن الرأي في بلد مستبد، ولا عن أن الاعتقال التعسفي والسياسي يخرق أبسط حقوق الإنسان، ولا عن الحقوق ولا عن الإصلاح السياسي.

الحرية السياسية لم تكن في السعودية طرحاً ليبرالياً من الأساس، بل كانت في كل دول العالم ومؤخراً في العالم العربي على وجه الخصوص قيمة شعبية سياسية لا تصنيف لها، وهذا ما أثبته حراك الشارع العربي في أكثر من مكان. إن ما يريد بعض الكتاب التراجع عنه هو شيءٌ آخر لم يدعوا إليه، ولم يعرفوه أصلاً.

وفي ذات الاتجاه، كاتبة أخرى بعد قرارت الملك عبدالله في السعودية وراتب الشهرين تذمرت من تخوف الليبراليين من المشايخ أو التيار المحافظ، لتكتشف هي الأخرى أن (المشايخ يستاهلون) ويستحقون كل هذا الاحتفاء، فالمخرج (عاوز كده)!، وكأن الحرية المحرمة في كل هذا المشهد هي حرية (الناس) بكل أطيافهم وتياراتهم وتنوعاتهم، فهي الفاكهة المحرمة التي يختفي وراءها كل مكرٍ يهودي وصهيوني، وبعد الثورات العربية وفورات الحرية، صار بعض أولئك الذين كانوا ينتقدون (سد الذرائع) أدواتٍ مختلفة لسد ذريعة الحرية، وسد ذريعة الحقوق، وسد ذريعة المشاركة الشعبية.

هؤلاء هم المحافظون السعوديون الجدد. هم لم يكونوا محافظين بالمعنى المدرسي والعلمي، ولم يكونوا محافظين بالمعنى المنهجي والثقافي، بل يطرحون أنفسهم خارج (المدرسة التقليدية)، لكن الخوف من (حرية الناس ومشاركتهم السياسية دفعهم إلى أن يكونوا (محافظين) بالمعنى السياسي، ولأنهم حديثو عهدٍ بذلك فهم (جدد).

وإذا كانت هذه المحافظة (سياسية) بامتياز، فهي لا تقدم مفهوماً ثقافياً معيناً، ولا إصلاحاً اجتماعياً رائداً، بل همها (درء فتنة الشعوب عبر دعم فتنة الحكام)!، ودرء مفسدة الرئيس المنتخب، عبر دعم الحاكم المستبد والمتغلب؛ ودرء ضرر التدخل الخارجي العالمي لأجل الشعوب عبر دعم التدخل الخارجي العالمي لأجل الحكام.. فكل شيء يجوز لأجل مصلحة الحاكم، الذي هو نفسه يحرم ذلك لأجل مصلحة الشعب.

الغرب الذي يفتخر أكثر حكام العرب بالتعامل معه وتشكيل علاقات تاريخية وطيدة والارتباط به عبر (زواج كاثوليكي)، هو نفسه الذي تخاف الحكومات من وجود أواصر وروابط تصله بشعوبها، وبصوت الناس المبحوح، فالغرب والتعامل معه تهمة للشعوب، ومصدر حنكة وفخر للحكام، كما يرى المحافظون السعوديون الجدد.

المحافظون السعوديون الجدد ليسوا ليبراليين، ولم يكونوا يوماً كذلك بالمعنى المبدئي، ولم يصبحوا إسلاميين، لكنهم في منزلة بين المنزلتين، منزلة صممها (الحاكم العربي) لإنقاذ البلد من الإصلاح، وسد ذريعة الحرية، ودرء فتنة المشاركة الشعبية، وحماية



هوية المستبدين، فهي منزلة بين المحافظين والإصلاحيين الذين سوياً ينتقدون السياسي لتضييعه الحقوق التي أمر الله بها، ويطالبونه بالعدل ورفع الظلم وإخراج المعتقلين السياسيين، وحفظ حق الناس في العيش بحرية وكرامة. ولأن المحافظين والإصلاحيين سوياً لا يؤدون الدور المرغوب، كانت هذه المنزلة الرفيعة بينهما لتخدم البلاط بطريقة قد تتسامح مع نصف محافظة ونصف إصلاح، ولكنها تتشنج تجاه كل دعوة لحرية الناس وحقوقهم السياسية.

المحافظون الجدد هم صناعة سعودية محلية خالصة.. و(والله ما مثلك بهالدنيا بلد)!

عن موقع المقال، ٢٠١١/١٠/٤

الحرية بنكهة سعودية

وليد سليس



الماكينة الإعلامية السعودية تسوّق باستمرار بوجود هامش كبير للحرية في السعودية يساعدها في ذلك التحالفات الإعلامية بين الدول. فمثلاً لا تتحدث قناة الجزيرة عن الأوضاع في السعودية ولا قناة العربية تتحدث عن ما يجري في قطر إلا ما ندر. المروّجون لهذه الأكذوبة، يستشهدون بما يجري في الساحة الإعلامية السعودية من حراك نشط، فالسعوديون كل شيء يمكنهم كتابته والحديث عنه في وسائل الإعلام التقليدية دون وجود رقيب، وهنا نتذكر دعوة رئيس تحرير صحيفة الرياض تركي السديري لمنظمة مراسلون بلا حدود في عام ٢٠١٠ لزيارة السعودية لكي يتعرفوا على الواقع عن قرب بعد أن رأى السديري أن تقرير المنظمة يستهدف السعودية ولا يقوم على الموضوعية، وذلك بعد أن أصدرت المنظمة تقريرها السنوي التي وصفت فيه السعودية بأنها (من أعداء الإنترنت ومن صيادي حرية الصحافة) ووضعت المملكة في الترتيب ١٦٣ من ١٧٥ دولة شملها التقرير. في الجانب المظلم هناك حقيقة راسخة وهي أن الإعلام السعودي لا يقوم على الاستقلالية عن السلطة، فالصحف مثلاً تختلف في الطباعة والمسميات وبعضها يمتلك قليل من الجرأة لكنها تتفق جميعا في أنها صحف خاضعة بشكل رئيس لما يجب عليها أن تتحدث به وما لا يجب الحديث عنه.

اعتقال فريق (ملعوب علينا) وهم (فراس بقنة، حسام الدريويش، خالد الرشيد) لمدة أسبوعين ١٧-٢٠١١/١٠/٣٠ لأنه قام بانتاج فيديو عن الفقر في أحد أحياء الرياض يثبت أننا أمام مشهد أكثر سوءاً، لأن مشكلة الفقر في السعودية هي حديث الناس والدولة وإن لم تجاهر بها صراحة باستثناء زيارة الملك عبدالله بن عبد العزيز حينما كان وليًا للعهد في نوفمبر ٢٠٠٣ لأحد الأحياء الفقيرة، حقيقة الفقر في السعودية تثبتها الأرقام قبل الكلام؛ فالسعودية تنفق سنويًا أكثر من ٢٠ مليار ريال لدعم الأفراد المستفيدين من الضمان الاجتماعي والذين يصل عددهم حسب تصريحات المسؤولين إلى ٧٥٠ ألف عائلة، أي أننا أمام أكثر من مليوني شخص يستفيدون من هذه المساعدات.

أضف إلى ذلك هناك ما لا يقل عن ٤٠٠ جمعية خيرية تقوم بتقديم المساعدات للمحتاجين والحكومة تقدم لهم دعم مالي بأكثر من ٣٠٠ مليون فضلاً عن قيام هذه الجمعيات بجمع التبرعات من الأفراد والشركات وتصل مصروفاتها السنوية إلى أكثر من ثلاثة مليارات ريال سنويا، ونتيجة هذه المعطيات الواضحة لمعظم الناس سبب اعتقال فريق ملعوب علينا صدمة للمجتمع السعودي لأنه تحدث عن قضية اجتماعية هي محل اهتمام الجميع ومنهم الدولة؛ ولكن يظهر أن النقد لملف إدارة الفقر في السعودية أصبح من الخطوط الحمراء الجديدة بحيث يجب على الشعب أن يصمت ويأكل تبن!

في المشهد السياسي، شهد عام ٢٠١١ اعتقال أكثر من ٥٠٠ ومنع المئات من السفر بينهم نساء وأطفال وكتّاب وحقوقيين نتيجة تعبيرهم عن حريتهم باستخدام أساليب مدنية مثل التجمعات السلمية أو الاعتصامات أو الحديث بصوت عال، تم إطلاق النسبة العظمى منهم لكن أصل فكرة الاعتقال لأشهر أو لأسابيع أو لأيام في قضية رأي يعكس مستوى قمع الحريات التي تشهده المملكة، وتغليب الحالة الأمنية في معالجتها للقضايا الحقوقية.

أما في الحالة الإعلامية فقد أصدرت السلطات السعودية في ١٥ مارس قراراً بطرد مراسل شبكة رويترز أولف ليسينج والسبب حسب ما تدعي السلطات قيام المراسل بكتابة تقرير غير دقيق عن الاحتجاجات في السعودية، هذا السيناريو تكرر مع مراسلي شبكة البي بي سي؛ فتم التحقيق مع الصحفية التي كانت تغطي تجمعاً سلمياً في الأحساء وتم مصادرة أشرطة الفيديو من مصور القناة وتوقيع الصحفية على تعهد بعدم تغطية مثل هذه الأحداث وأن ترجع إلى الرياض، وأخيراً قامت السلطات السعودية ممثلة بوزارة الإعلام بالتضييق على راديو بي بي سي عندما زار السعودية في أكتوبر ٢٠١١ لعمل لقاءات لبرنامج اليوم (Today Programme) فحسب ما كتبه المراسل الصحفي إدوارد ستورتون "أن فريق العمل قام بإجراء الترتيبات اللازمة لمقابلة رموز الشيعة البارزين ليحكي لنا عن مآسي ومظالم مجتمعه. إلا أن وزارة الإعلام لم تسمح لنا بذلك، في المقابل أصر المرافقون لنا في كل مكان من الحكومة السعودية على مقابلة الشيخ (السيد وجيه الأوجامي) عوضًا عن ذلك. وقد لعب الشيخ دوره في تلميع صورة الحكومة بكل حماسة واقتناع، وعندما رجع المراسل إلى الرياض أثار هذه النقطة عندما التقى الناطق الرسمي بوزارة الداخلية اللواء منصور التركي فأجاب هو من جهته: لا توجد لديه مشكلة بأن يلتقوا بأي أحد!!

و أيضا قامت وزارة الإعلام باقتطاع التقرير الذي كتبه المدون خالد الناصر لمجلة فوربس العربية عن فيلم مونوبولي وبالتالي خلت المجلة التي تباع في



الأسواق السعودية من هذا التقرير في شهر أكتوبر ٢٠١١.

في السياق نفسه قامت وزارة الثقافة والإعلام في بداية عام ٢٠١١ بإصدار لائحة النشر الإلكتروني التي تسعى لفرض الرقابة على ما ينشر بالطرق التقنية المختلفة وإن حاولت الوزارة أن تضع مادة في اللائحة بالقول أنها لا تراقب، فهي من باب ذر الرماد في العيون، وهي محاولة تأتي لفرض عملية ترهيب للكتّاب في الفضاء العام بشكل ضمني. أضف إلى ذلك صدور القرار الملكي بتاريخ ٢٠١١/٤/٢٩ بتعديل بعض المواد في نظام المطبوعات والنشر؛ والتي أتت مكملة للنهج العام في محاولة إرعاب المواطنين بالخطوط الحمراء الكثيرة والعقوبات الشديدة.

وسبق ذلك صدور نظام الجرائم المعلوماتية في ١٤٢٨/٣/٨ الذي يُمَكن القائم على تنفيذ القوانين أن يعاقب به الأشخاص لوجود مساحة واسعة من الاجتهاد في المفاهيم المذكورة التي لا ضابطة قانونية لها؛ فمثلاً نجد المادة (٦) تنص على أن (يعاقب بالسجن مدة لا تزيد على خمس سنوات وبغرامة لا تزيد على ثلاثة ملايين ريال، أو بإحدى هاتين العقوبتين كل من ينتج ما من شأنه المساس بالنظام العام، أو القيم الدينية، أو الآداب العامة، أو حرمة الحياة الخاصة، أو إعداده، أو إرساله، أو تخزينه عن طريق الشبكة المعلوماتية، أو أحد أجهزة الحاسب الآلي). في المقابل نجد المقرر الخاص المعني بتعزيز وحماية الحق في حرية الرأي والتعبير بالأمم المتحدة، دعا في التقرير الذي قدمه إلى لجنة حقوق الانسان في عام ٢٠٠٠ (ص ٥٢) (جميع الحكومات على ضمان عدم مواصلة فرض عقوبة السجن على جرائم الصحافة إلا في الحالات التي تنطوي على تعليقات عنصرية أو تمييزية أو تدعو إلى العنف. وفي حالة جرائم من قبل التشهير أو الإهانة أو إساءة السمعة الموجهة إلى رئيس الدولة أو نشر معلومات كاذبة أو مثيرة للبلبلة فإن الأحكام بالسجن تستحق الشجب وغير متناسبة مع الضرر الذي لحق بالضحية. في مثل هذه الحالات يعد السجن كعقوبة على التعبير عن الرأي انتهاكاً خطيراً لحقوق الإنسان).

لو أردنا تتبع حالات القمع للحريات على مستوى الممارسة العملية أو على شكل نصوص قانونية لوجدنا أنها في حالة من التوسع؛ فنجد مثلاً مشروع النظام الجزائي لجرائم الإرهاب وتمويله والذي ما زال يناقش في مجلس الشورى: تنص المادة (٤٤) على أن (يعاقب بالسجن مدة لا تقل عن خمس سنوات كل من روّج بالقول أو الكتابة بأي طريقة لأي موضوع مناوئ للتوجهات السياسية للملكة أو أي فكرة تمس الوحدة الوطنية أو دعا إلى الفتنة وزعزعة الوحدة الوطنية بما في ذلك من استغل أي نشاط مشروع لهذا الغرض)، مثل هذه المواد القانونية بالإضافة إلى الحالة الدينية التقليدية التي تحارب الحرية توصلنا إلى نتيجة أن مستقبل الحرية مظلم ونجد أنفسنا متطابقين مع ما كتبه الدكتور عبد القادر بوعرفة في بحثه الجميل بعنوان: (العرب وسؤال الحرية) عندما أشار إلى (ان السلطة والأنظمة العربية عن طريق إعلامها وأبواقها قد أدخلت في شعور المواطن العربي كونه مواطنا وسيداً وحراً وعزيزاً، وفي الوقت نفسه ركبت في ذاته الشعور بالخوف من النظام. فأيهما أمام العدالة السماوية يعد مجرماً، المفكر الذي يريد أن يقوي الشعور بالحرية ولو بالتوهم الإيجابي، أم السياسي الذي يريد أن يجعل من شعبه قطعان ماشية تنقاد لرغباته بالقهر؟).

نحن الآن أمام مرحلة جديدة في الحياة السياسية السعودية، فوفاة الأمير سلطان وتولي الأمير نايف ولاية العهد يجب أن يساعد ذلك على تعزيز قيمة الحرية في مختلف المجالات الفكرية والسياسية والحقوقية، فاستقرار الوطن يتعرض للخطر عندما يتم تقييد حريات الناس، فالناس إذا استطاعوا الحديث بحرية أصبح الحاكم لديه القدرة على سماع الناس وبالتالي يكون فعل الحاكم انعكاسًا لتطلعات الناس وطموحهم وتزداد علاقة المحبة بين الحاكم والمحكوم، فجميع المواطنين محبين لوطنهم ونقدهم لما يجري ليس لتأليب الرأي العام أو التحريض بل هو دليل على وعيهم ورغبتهم بإصلاح الأوضاع الحالية إلى الأفضل، فـ (محاولة بعض الدول الحفاظ على الاستقرار من خلال الإكراه أو شبكات المحسوبية سيؤدي إلى ارتفاع مستويات الفساد والمزيد من انتهاكات حقوق الإنسان في بعض الدول يزيد مخاطر انفجار العنف مستقبلاً). هذه إحدى النتائج التي توصل لها التقرير الذي صدر حديثا من البنك الدولي عن التنمية في العالم لعام ٢٠١١ وتناول موضوعات الصراع والأمن والتنمية.

المعطيات السابقة تجعلنا نتمسك بالحرية كعمود أساس لاستقرار الوطن ومن دون الحرية سنبقى في وطن يغلي ونفوس الناس تزداد احتقاناً مع مرور الأيام وهذا بالتأكيد مدعاة لدق ناقوس الخطر وهو ما يدعونا إلى تغيير النمط الأمني في معالجة مسألة الحرية إلى رحاب أوسع من قبول التعددية الفكرية لنصنع مجتمعاً حراً مبدعاً لديه القدرة على حل مشاكله دون اللجوء إلى أساليب القرون الوسطى ونحن نعيش في القرن الواحد والعشرين.

عن موقع المقال، ٢٠١١/١١/٩

التويتر والأوامر الملكية

تعيين نايف ولياً للعهد، وشقيقه سلمان وزير الدفاع، ولد تعليقات متنوعة: ساخرة ومتألمة عديدة، نشرت في فضاء تويتر والمواقع الإلكترونية المهتمة بالشأن السعودي، حيث فضفض المواطنون بما يختلج في نفوسهم، تجاه أقوى رجل في الدولة وهو نايف، رغم بطشه وقسوته، ما يشير الى حقيقة أن المواطنين بدأوا بكسر حواجز الخوف، واعتماد وسائل التواصل الاجتماعي وسيلة للتشهير والعمل السياسي ربما. هذا نموذج من التعليقات:

× منال الشريف التي اعتقلت لقيادتها السيارة، أتوقع بعد تعيين نايف أن تبيع سيارتها لأنها بتبطي من الوقفة. وراح تتعاقد مع باص يمرها كل صباحية.

× ملخص الأوامر الملكية: تعيين شلة نايف، وإقالة شلة سلطان!

× أنا أرى بأن تعيين نايف بداية النهاية لهذه الأسرة

× قرار تعيين الامير نايف لا اعتقد أنه سيمر مرور الكرام! سمعت من وكالة (يقولون) ان هناك هدية راتبين!

× راح انبايع بالإيميل نحن الطلاب، بشرط أن الملحقية يعطونا راتبين بمناسبة تعيينه، وأن تنزل الحين في الحساب!

× أصلا الشوارع صارت زحمة والسيارات صارت غالية. وش لزومنا نسوق! المرسل: منال الشريف، بعد تعيين نايف ولياً للعهد!

× التعيينات الملكية تنفذ لحظة اعلانها، والقرارات الملكية بحق المواطن دائماً تحتاج سنوات ليمكن تناسيها!

× نفس الأشخاص الذين يتخذون قرارات تعيين ابنائهم، هم من يتخذون قرارات حل مشاكل الفقر في الدول المجاورة!

× التعيينات الملكية وقرارات بشار الإصلاحية سيان، هذا القرد وهذا السعدان!

× تعيين الأبناء في مناصب عليا يدل على ثلاثة أشياء: الغباء السياسي، والفساد، والاستهتار بالشعب.

× هل تعلم ان خلال إمارة الأمير سلمان بن عبد العزيز للرياض (٥٦ سنة) مر على امريكا ١١ فترة رئاسية، ابتداء من دوايت آيزنهاور حتى اوباما؟

× ١٩٥٥-٢٠١١م هي كل حياة ستيف جوبز.. وهي فترة حكم الامير سلمان للرياض! انظر ماذا أنجز كل منهما.

× واحد يقول: سعد الحريري ماجاه أي منصب في الأوامر الأخيرة؟ قلت له: إلا هو أمير محافظة لبنان بمرتبة رئيس دولة.

× من انجازات الأمير نايف العملاقة: مشروع تشغيل المواطنين في سوق الخضار، ومشروع راتب ٥٠٠ ريال راتب جيد.

× الأمير نايف يقضي على البطالة في أسرته بتعيين ابنائه في مناصب عليا. خوش قيادة .. وإذا لم تستح..

× س: هات وصف للمملكة العربية السعودية في كلمتين فقط؟ ج: مكة والنفط.

× أمر ملكي: الرقم (أ) تقسيم ١٠٠ مضروب في (ب) يساوي سليمان العيسى (مذيع الأوامر الملكية).

× تعيين نايف عيد للمطاوعة! يمكن يحللون بقية الأعياد، مثلما حللوا المسيار والمسفار، حتى لا تختفي الورود الحمراء!

× بحكم مارأيت من تعيينات سلسة لأشخاص بدون خبرة أو شروط تعسفية، قررت أقدم على منصب وزير في التغيير القادم للمناصب!

× جرايدنا هالاسبوعين دخّلت مالاً حق سنتين قدام: تهنئة العملية الجراحية؛ ثم تعزية؛ ثم تهنئة بولاية العهد، ثم تهنئة بالتعيينات الجديدة؛ ثم تهنئة العيد. وش يلحقون.

× مسكين أيها الشعب الذي أكبر حلم له أن يحصل على إجازة، وليس بإمكانه إلا التهنئة.

× راح أجهّز ملف علاقي اخضر، وصورتين ٤٦ واقدمها للملك وأقول له: يابخيييييل نسيت تعيّني؟!

× يا شباب هل شاف أحدكم إسمي في الأوامر الجديدة؟ يمكن سقط سهواً؟ معقولة ماحطوني في منصب؟

× تبربروا ولاّ حتى تنبطحوا من القهر. الاوامر اسمها أوامر وأنت ساكت ولا كلمة خرفان العيد.

× قال ابن القيم: (كان أهل الورع من أهل العلم يتجنبون تهنئة الظلمة بالولايات). أحكام أهل الذمة، جزء١ ص ٦٢ طبعة الكتب العلمية

× عبد الرحمن الأنصاري مع مارسيل غانم في lbc يقول أن تعيين الأمير نايف وليا للعهد أنقذ البلاد من الغرق! BoooM

× ما أنتم ممن يهنأ بمنصب/ ولكن بكم حقا تهنأ المناصب. طبّال يخاطب سيّده نايف مهنئاً

× ايوووه! عمر سليمان بالسعودية ويستقبله الأمير نايف. همممم! هل تفكرون باللي انا افكر فيه؟

× مالذي تحتاجه المرأة في عهد نايف؟ الجواب: أن لا تحلم بالسواقة مادام طويل عمر.

× سأل أخ كويتي أحد الزملاء: ما رأيك بتعيين الأمير نايف؟ أجاب: ومن قال لك أن لنا رأي؟

× لأول مرة يستقبل الأمير نايف الناس وحده في منى في ظل غياب قصيدة خلف هذال المعتادة!!

× ما تلاحظون أن تعيين الأمير نايف وليا للعهد ألجم المتباكين لوفاة الأمير سلطان، والبعض حول الموجة من حزن الى فرح؟

× سبحان الله، دايم الضباط مكرشين، قاعده اشوف اللي يسلمون على الأمير نايف الحين، كلهم مكرشين، مع انه المفروض يكونوا من كمال الأجسام!

× دراسة عن العائلة المالكة، أحسن شي فيها أنها تسمي التيار اللي يقوده الأمير نايف بأنه تيار وسطي. مت ضحك الصراحة. أجل وسطي ها؟

× مبروك يا اهل جدة: شوفوا وش جاب لكم الأمير نايف: ٦٠٠ جيب وجمس للهيئة.

× بعد موافقة الأمير نايف ولي العهد ووزير الداخلية، سوف يتم إنشاء فرع لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في البحر!



هذا الحجاز تأمّلوا صفحاته سِفرُ الوجود ومعهدُ الآثار

- الحجاز السياسي
- الصحافة السعودية
- قضايا الحجاز
- الرأي العام
- إستراحة
- أخبار

- تراث الحجاز
- أدب و شعر
- تاريخ الحجاز
- جغرافيا الحجاز
- أعلام الحجاز
- الحرمان الشريفان
- مساجد الحجاز
- آثار الحجاز
- صور الحجاز
- كتب و مخطوطات





إتصل بنا

(شكراً قطر) يغضب السعوديين

صانعة الحروب تثأر لنفسها في حكومة السنيورة

من يرقب ملامح وجه وزير الخارجية السعودي الأمير سعود الفيصل وهو يستمع تحت قبّة البرلمان اللبناني الى كلمات الشكر والثناء التي كانت تنهال على أمير قطر ورئيس وزرائها تلفته تلك الغصة المكتومه التي حاول الفيصل كبتها ولكنها تسرّبت الى إبتسامته الغائضة، فقد وجد نفسه في أجواء ليست مريحة خصوصاً وهو يستمع إلى رئيس مجلس النواب نبيه بري الذي تعمّد في إظهار فرحته الغامرة بنجاح الدور القطري وإطرائه المتكرر على الشيخ حمد، الذي حباه بحفاوة خاصة، بعد أن ختم حوار الدوحة بعبارة إطراء متميّزة (إذا كان أول الغيث قطرة، فكيف إذا كان قطر).



(الحجاز) انفردت بكشف قصة الإنقلاب في سوريا بتمويل سعودي

هل تقوّم السعودية سياستها الكارثية؟

في 15 أكتوبر 2006، نشرت (الحجاز) مقالاً تحت عنوان (السعودية تتبنى بشكل صريح مشروع إسقاط النظام السوري)، تناول طبيعة التحركات السعودية المريبة إزاء الحكومة السورية والتي بدأت بدعوة نائب الرئيس السوري السابق المنشق عبد الحليم خدام لزيارة الرياض، حيث التقى الملك وولي العهد الأمير سلطان، وكان لقاء قد جمع رفعت الأسد، شقيق الرئيس السوري السابق حافظ الأسد ونائب الرئيس الأسبق، مع خدام في الرياض لوضع خطة إطاحة نظام الرئيس السوري بشار الأسد. وهذه الأنباء، حسب الحجاز، (جاءت في سياق أنباء أخرى حول دعوة الولايات المتحدة لرفعت الاسد من أجل مناقشة مستقبل سورية ومصير نظام الحكم فيها!!).




من يتآمر على الآخر؟!

أربع إتفاقيات أمنية بين الرياض وواشنطن

السعودية.. قلعة إستراتيجية أميركية

بدأت تلميحات متقطعة تصدر عن الجانب السعودي بشأن إتفاقيات أمنية في أغسطس من العام الماضي، حين بدأ الحديث عن عمليات تطويرية لقوة امنية لحماية المنشآت النفطية في البلاد، قوامها ألف عنصر امني. وقال اللواء منصور التركي المتحدث الأمني بوزارة الداخلية لصحيفة (الشرق الأوسط) السعودية في 30 اغسطس 2007، بأن (هذه القوة الأمنية تأتي في إجراء يتناسب مع متطلبات المرحلة الراهنة)، وبحسب الصحيفة فإن



حول اعتقال الناشط الحقوقي متروك الفالح

دعت منظمة العفو الدولية في بيان عاجل لها (2008/5/20) الى ضرورة إطلاق سراح الدكتور متروك الفالح من السجون السعودية. ففي 19 مايو 2008 قُبض على الدكتور متروك الفالح، وهو أكاديمي وناشط سعودي في مجال حقوق الإنسان، ووضع بمعزل عن العالم الخارجي في مقر المباحث العامة، وأصبح عرضة لخطر التعذيب وغيره من ضروب إساءة المعاملة.

الطيب: الوطن ليس ملكاً لفئة

أثار اعتقال الإصلاحي الدكتور متروك الفالح ردود فعل غاضبة، خاصة وأن طريقة الإعتقال بدت وكأنها اختطاف، بلا مبررات قانونية وبدون توضيح الإتهامات وبدون التواصل مع محامين أو مع عائلته. وشمل التعاطف مع الفالح عدداً كبيراً من الناشطين الحقوقيين، ومن منظمات المجتمع المدني في داخل وخارج المملكة، كما شمل العشرات من المثقفين والسياسيين.

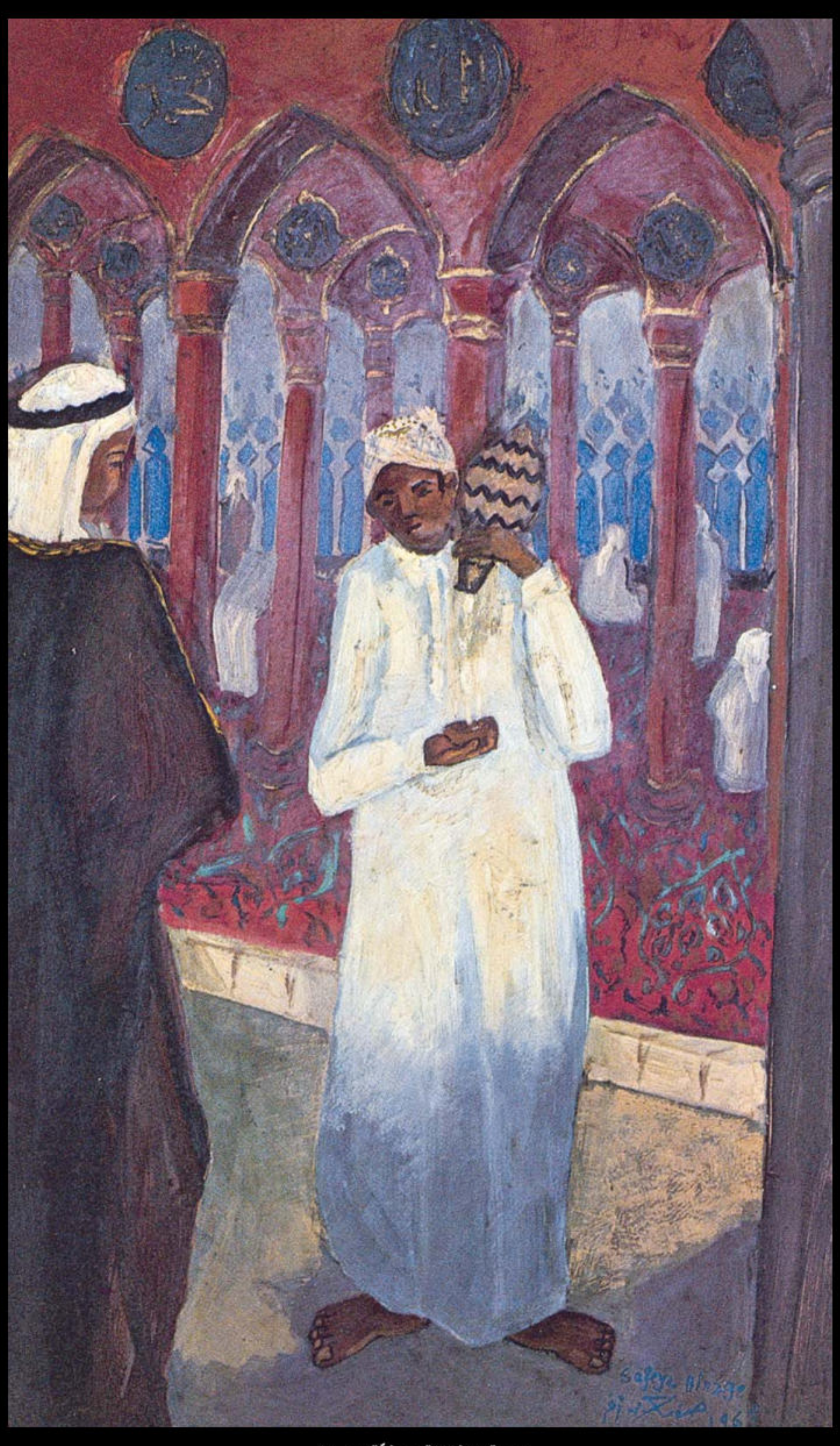
خالد العمير... (الداخليّة) مازالت في غيّها وهي العدو!

مرة أخرى اقتيد د/ متروك الفالح من وسط مكتبه في حرم الجامعة المصون الذي لم يعد له حرمة كغيرة من الأماكن في هذا الوطن. لقد اعتقل د/ متروك الفالح عام 2004 م في نفس المكان وكانت قوات المباحث تسحبه على الأرض سحباً في مشهد يدل على حقارة مرتكبيه. كان ذنبه الوحيد أنه أراد أن يرى هذا الوطن شامخا عزيز بين الأوطان، وطن يحكمه دستور يحفظ حقوق الإنسان ويفصل السلطات ليعرف المواطن مالذي له ومالذي عليه ولكن كان جزاؤه هو ورفاقه السجن.

وداعاً مكّة!

لم يتبق إلا القليل من مكة.. التراث والتاريخ والعبق الديني.

لقد امتحنها الله امتحانات شتّى كان أشدّها سيطرة صنفين من البشر أتيا على روحها: جماعة بدوية قبليّة جاهلة لا تفهم معنى



لوحة للفنانة صفيّة بن زقر